مجلة متون (Moutoune) / ج سعيدة د. مولاي الطاهر / المجلد :14 العدد:4 ديسمبر 2021
ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

# التربية الإسلامية والتنمية البيئية

| د. خالد مميد الهواري | باحث في تاريخ الاديان<br>جامعة السوربون 1 فرنسا |
|---|---|

الإرسال: 2021/11/16 القبول: 2021/11/18 النشر: 2021/12/01

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فقبل أن يخلق الله الإنسان على وجه هذه البسيطة خلق الله سبحانه الأرض (البيئة) مشتملة على كل عناصر ومقومات الحياة، بل إن الإنسان خلق من هذه البيئة نفسها، وتفاعلت العناصر البيئية لتكوينه، قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ} [1]، وجعل الله سبحانه هذه البيئة (الأرض) مصدر التكوين الإنساني ومصيره، قال تعالى: {مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً اخْرَىٰ} [2]، ومسكنه ووطنه، قال تعالى: {قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ} [3].

وهذه البيئة هي محور الحياة الدنيوية والأعمال والسلوكيات الإنسانية والعلاقات والتواصل الاجتماعي، والبناء الحضاري، فالبيئة خلقها الله للإنسان؛ لينتفع بها وبخيراتها وطيباتها وتعميرها بالإيمان والعلم والعمل الصالح والعلاقات الايجابية مما يخلق السعادة في هذه الدنيا ويهيئ لتحقيق سعادة أعظم في الآخرة.

ولذا حمل الله الإنسان مسؤولية الاستخلاف والإعمار والمحافظة على هذه البيئة والاستثمار النافع لها، قال تعالى: {وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ

(1) الحجر:26.
(2) طه: 55.
(3) الأعراف: 24.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ}[1]، استعمركم: أي طلب منكم إعمارها، أو جعلكم عمارًا تسكنون بها[2].

وقال سبحانه: { ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ}[3]، أي لتنتفعوا به وتعتبروا[4].

وقال سبحانه: {هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ}[5]، وقال سبحانه: {وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا}[6]

وهذه الآيات تدل على أن البيئة خلقها الله صالحة نقية نافعة، وأن الإنسان هو المسئول عن إبقائها نافعة أو إفسادها نتيجة سلوكياته الخاطئة وتصرفاته غير الرشيدة.

وبذلك أصبحت التربية البيئية ذات البُعد الأخلاقي أهم عنصر في التنمية البيئية من حيث الاستثمار والمحافظة، وعلاج المشكلات الطارئة، وأن انعدام التربية البيئية الأخلاقية وخصوصًا في العصر الحاضر يؤدي إلى الدمار البيئي المتعدد الجوانب.

ومن هنا باتت الحاجة ماسة للدراسات البيئية ذات البعد الأخلاقي؛ للاستفادة منها في وسائط التربية والمشاريع البيئية.

مشكلة الدراسة:

عنيت البشرية بالتنمية المادية البحتة المتمثلة في الصناعات المختلفة، المدنية والعسكرية، وأغفلت الجانب الأخلاقي، وخصوصًا الإسلامي الذي يربط الإنسان ببيئته رباط الولد بالأم محبة واحترامًا، وتغذية، وحنانًا، ورحمة، فأضحت البشرية مرتبطة بالمصالح المتوهمة العاجلة، والملذات المؤقتة، بلا هدف أسمى ولا غاية مصيرية، سلوكيات تتحدى الكوكب الأرضي، وثقافة بيئية قائمة على قهر الإنسان للبيئة وتطويعها، فصدمت البشرية بالأخطار المحدقة بالكوكب الأرضي نتيجة السلوك الإنساني الخاطئ، وأن

(1) هود: 61.
(2) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 384.
(3) البقرة: 29.
(4) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، ص 48.
(5) الملك: 15.
(6) الأعراف: 56.


المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

الحضارة المادية التي بناها الإنسان وافتخر بها وظن أنه قادر عليها على وشك أن يأتيها أمر من الله ليلًا أو نهارًا، فتصبح هلاكًا ودمارًا.

استفاقت البشرية على وقع هذه الأخطار والأخطاء فأخذت تفكر بجدية وبشكل جماعي دولي بغض النظر عن جنس أو لون أو دين في إيجاد الحلول لما أحدثته البشرية من مشاكل بيئية هائلة، فانعقدت المؤتمرات العالمية حول البيئة ولا تزال تنعقد في أكثر من مكان.

كما أن البشرية تفطنت للدور الحيوي الذي تقوم به التربية (بجانبها الأخلاقي) في بناء القيم وتغيير السلوك، وتقويم الاتجاهات وتوجيه الأفكار، فعملت على توظيف الجانب التربوي الأخلاقي في توليد القيم البيئية وغرسها في النفوس، مما يجعل الجيل القادم أكثر وعيًا وإدراكًا للبيئة، ونظامها التكويني والتوازني، وفاهما للعلاقة التي تربط الإنسان بالبيئة، ومتبصرًا بالأخلاق البيئية التي من شأنها إيجاد تعامل مسئول ومتوازن مع البيئة.

**ومن ثم** انعقد مؤتمر (روشلكون) بسويسرا عام 1971م، والذي دار موضوعه حول التربية البيئية في المناهج الدراسية، وكيفية إدخال المناهج البيئية في المواد الدراسية، وقد مهد هذا المؤتمر لعقد أهم ثلاث مؤتمرات دولية عن التربية البيئية وهي: مؤتمر استكهولم بالسويد عام 1972م، ومؤتمر بلغراد عام 1975م، ومؤتمر تبليسي عام 1977م[1]، وقد تبنت منظمة اليونسكو منذ عام 1975م نشر الوعي البيئي من خلال برنامج التربية البيئية[2]، كما أن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو) عنيت ضمن برامجها التربوية بالمرجعيات القيمية والتربوية؛ لإدماج مفاهيم التربية البيئية والصحية والسكانية في المناهج الدراسية، وذلك تحت محور التربية في خدمة قضايا المجتمع التنموي[3].

ومع هذا الاهتمام الاستثنائي بالبيئة وسعي الدول في توظيف ما لديها من إمكانات وطاقات في سبيل تدارك الأمن البيئي، إلا أن البشرية باءت بالفشل في تأمين أمن بيئتها والأرض التي تسكنها، حتى

(1) صالح أبو عراد، التربية البيئية في الإسلام – المفهوم – الأهداف – المظاهر، مجلة جامعة الملك خالد ع 4مج 2 ص 128 وسمير عبد الوهاب، التربية وتحديات التنمية البيئية في دول الخليج العربية، مجلة كلية التربية بالمنصورة، ع 31ماي 1996م ص 113.

(2) حامد بن موسى الخطيب، القضايا والمفاهيم البيئية في الكتب الدراسية للصف الثالث الثانوي العلمي بنين بمدارس المملكة العربية السعودية، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية، مج 16ع1ذو القعدة 1424هـ ص 47.

(3) موقع الإيسيسكو: http://www.isesco.org.ma الخميس. 2010/4/7م.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

قال أحد الدارسين الغربيين: "إن الإنسانية لم تعد تضمن وللمرة الأولى مستقبلها، وهذا الواقع يضع ثقله بشكل مأساوي وغامض على الحاضر"[1].

وفي مقدمة عوامل فشل تلك الجهود المبذولة للحفاظ على البيئة انعدام أو ضعف الأساس الصحيح الذي تنطلق منه البشرية في إصلاح بيئتها واستثمارها الاستثمار الأمثل، والمحافظة عليها[2].

ويرى الباحث أن هذا الأساس الصحيح هو: التربية الأخلاقية الإسلامية التي تغرس في النفوس حب هذه الأرض، وتكريمها والمحافظة عليها؛ لأنها منشأه ومسكنه، وهي حاضنته وماضيه وحاضره ومستقبله، وفيها يتوصل بإذن الله لحياة أبدية في الآخرة، كما أنها تحمل الإنسان مسؤولية حماية بيئته، وتلزمه بذلك مع بيان جزائه على ذلك بمختلف أنماط الجزاءات سلبيًا أو ايجابيًا، وأن أصول الأخلاق العملية الإسلامية مثل: الإيمان، والعدل، الرحمة، ومشمولاتها لتُأثر تأثيرًا ايجابيًا وبشكل مباشر في حفظ البيئة من التلوث والدمار، قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَٰلِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ انثىٰ وَهُوَ مُومِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} [3]، وقال سبحانه {وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي ٱلاَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا} [4].

وفي ظل هذا الاهتمام الاستثنائي الدولي بالبيئة، وفشل معظم الممارسات المنبثقة عنه في تحقيق الأهداف المرجوة في المجال البيئي، وإرجاع كثير من الباحثين سبب ذلك الفشل إلى انعدام الأساس الأخلاقي الصحيح، وظهور أنماط سلوكية خاطئة في التعامل مع البيئة؛ تولدت فكرة هذه الدراسة؛ لتوضح الرؤية الإسلامية للتربية الأخلاقية وأثرها في التنمية البيئية.

تساؤلات الدراسة.

هناك تساؤل محوري لهذه الدراسة هو:

ما أثر التربية الأخلاقية الإسلامية في التنمية البيئية؟

وتنبثق عنه التساؤلات الفرعية التالية:

(1) ما مفهوم التربية الأخلاقية الإسلامية؟ وما علاقته بالتنمية البيئية؟

(2) ما أهداف التربية الأخلاقية الإسلامية؟ وما أثرها في التنمية البيئية؟

(1) على أور فلي: العالم في خطر، ص 1.

(2) محمد الصبار يني، وأحمد السقاف. المنحى العقائدي للتربية البيئية، مجلة الصائر، مج 3 ع 24 ص 65.

(3) النحل: 97.

(4) الأعراف: 56.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

(3) ما الإلزام الخلقي في التربية الأخلاقية الإسلامية؟ وما أثره في التنمية البيئية؟

(4) ما المسؤولية الخلقية في التربية الأخلاقية الإسلامية؟ وما أثرها في التنمية البيئية؟

(5) ما الجزاء في التربية الأخلاقية الإسلامية؟ وما أثره في التنمية البيئية؟

(6) ما أصول الأخلاق العملية في التربية الأخلاقية الإسلامية وما أثرها في التنمية البيئية؟

أهمية الدراسة:

يمكن إبراز أهمية هذه الدراسة في النقاط التالية:

(1) تساهم الدراسة في بناء رؤية أخلاقية واضحة في المحافظة على البيئة، ومن ثم الممارسة العملية على ضوئها في الميادين البيئية.

(2) إن جانب الاهتمام بالتربية البيئية وفي إطار إيجاد الحلول المناسبة للمحافظة على البيئة في حاجة لمثل هذه الدراسة للوقوف على مدى التأثر والتأثير بين التربية الأخلاقية الإسلامية والبيئة.

(3) إن العناية الكبيرة والجدية -على المستوى الدولي- بتضمين المناهج التعليمية مضامين التربية البيئية بحاجة لمثل هذه الدراسة كذلك؛ لتنطلق في مشروع الإدماج والتضمين للقيم البيئية من أساس صحيح يقوم على رؤية أخلاقية إسلامية واضحة وشاملة.

(4) توقف الدراسة على أهم المشكلات البيئية ومسبباتها الجوهرية، وهي الاضطرابات الأخلاقية في التعامل مع البيئة.

(5) توقفنا هذه الدراسة على المعالجة الأخلاقية للمشاكل البيئية، وتقدم الرؤية الإسلامية في مدى فعالية هذا الأساس التربوي في ذلك.

(6) تساهم الدراسة في علاج مشكلة ذات طابع إنساني عالمي.

(7) توضح الدراسة أثر التربية الأخلاقية الإسلامية في التنمية البيئية، ومن خصائص هذه التربية الأخلاقية: الربانية، أي أنها من عند الله الذي يعلم سبحانه ما يصلح البشرية في الدنيا والآخرة، وهذه الخاصية أكسبت الموضوع أهمية حقيقية؛ إذ لا تنطلق في المعالجة من اجتهادات بشرية قابلة للصواب والخطأ؛ بل من حقائق ربانية ثابتة.

(8) وأخيرًا يأمل الباحث أن تستفيد البشرية جمعاء، وخصوصًا أمة الإسلام من هذه الدراسة سواء في مناهجها التعليمية ووسائط التربية، كالأسرة والمدرسة والمسجد ومؤسسات المجتمع المختلفة، وبالأخص المعنية بالشأن البيئي.


المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة إلى محاولة تحقيق الأهداف التالية:

(1) إبراز مفهوم التربية الأخلاقية الإسلامية، وأثره في التنمية البيئية.

(2) التعرف إلى أهداف التربية الأخلاقية الإسلامية، وأثرها في التنمية البيئية.

(3) توضيح الإلزام الخلقي في التربية الأخلاقية الإسلامية، وأثره في التنمية البيئية.

(4) بيان المسؤولية الخلقية في التربية الأخلاقية الإسلامية، وأثرها في التنمية البيئية.

(5) بيان الجزاء الخلقي في التربية الأخلاقية الإسلامية، وأثره في التنمية البيئية.

(6) الوقوف على أهم أصول الأخلاق العملية في التربية الأخلاقية الإسلامية، وأثرها في التنمية البيئية.

حدود الدراسة:

(1) اقتصرت الدراسة على جانب التربية الأخلاقية من جوانب التربية الإسلامية المختلفة، وأثرها في التنمية البيئية.

(2) اقتصرت الدراسة على البيئة الطبيعية، وبيان أثر التربية الأخلاقية الإسلامية فيها.

وهذه الحدود الموضوعية لا تعني الانفصال المطلق بين التربية الأخلاقية الإسلامية وغيرها من الجوانب، ولا بين البيئة الطبيعية وغيرها؛ إذ التداخل وارد وبقوة إلا أن تركيز الباحث وتسليط جهده سيكون حول الموضوعات المحورية السابقة.

منهج الدراسة:

إن هذه الدراسة إظهار وتجميع وترتيب لحقائق ثابتة، وليست للتأكد من فروض محتملة شأنها في ذلك شأن أغلب الدراسات النظرية، ولذا سوف يستخدم الباحث -إن شاء الله- المنهج الوصفي التحليلي، وذلك لتحليل نصوص الكتاب والسنة الواردة في التربية الأخلاقية وترتيبها وتنظيمها موضوعياً في نفس المجال وبيان علاقتها (تأثيرًا وتأثرا) بالتنمية البيئية. مع الأخذ يعين الاعتبار الإجراءات التالية:

(1) عزو الآيات لسورها من القرآن الكريم.

(2) عزو الأحاديث إلى مصادرها مع التخريج المختصر، وبيان حكمها إن كانت في غير الصحيحين.

(3) اتبع في توثيق مادة الدراسة في الحاشية طريقة: منظمة اللغة الحديثة، والمعروفة اختصاراً بـ


المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

Modern Language Association (MLA)[1].

مصطلحات الدراسة.

(1) **التربية الأخلاقية الإسلامية**: "بناء الأجيال المسلمة على نحو يلتزمون فيه بالسلوكيات الحسنة والخيرة، ويتركون السلوكيات القبيحة والشريرة في كل الظروف والأحوال"[2].

وهذا مقصود الباحث في هذه الدراسة، إلا أن رؤيته عالمية، فيمكن بناء أجيال العالم كلها على هذا الأساس.

(2) **التنمية**: يعني بها الباحث: الزيادة المدروسة في كم الأشياء وجودتها وفق المعايير والضوابط الشرعية والأخلاقية.

(3) **البيئة**: يعني بها الباحث: "الوسط أو المجال الذي يعيش فيه الإنسان فيتأثر به ويؤثر فيه"[3].

(4) **التنمية البيئية**: يقصد الباحث بالتنمية البيئية: الجهود المبذولة للزيادة في استثمار البيئة مع المحافظة عليها والقدرة على حل مشكلاتها.

أو هي: عملية إنسانية شاملة تستهدف التحسين المستمر لاستثمار مكونات الأرض الطبيعية بما يعود بالنفع للبشرية جمعاء، وترك الاستثمارات الضارة.

الدراسات السابقة.

هناك دراسات عامة في التربية البيئية، والتربية البيئية في الإسلام، ولكن لم يقف الباحث -وفي حدود علمه-على دراسة خاصة بأثر التربية الأخلاقية الإسلامية في التنمية البيئية، إلا أن هناك دراسة في القيم البيئية في الإسلام وهي دراسة:

عزيزة محمود عبد الحسيب رمال، بعنوان: **(القيم البيئية في الإسلام ودور التربية الإسلامية في تنميتها -دراسة نظرية -)**[4].

استهدفت فيها الباحثة:

(1) الكشف عن القيم التي وضعها الإسلام لقضايا البيئية الخاصة بضبط صلة الإنسان بها في سبيل

(1) للتوسع حول تفاصيل هذه الطريقة، ينظر: دليل جامعة طيبة بالمدينة المنورة، وموقع: منديات اليسير للمكتبات وتقنية المعلومات، http://www.alyaseer.net.

(2) مقداد يالجن، مناهج البحث وتطبيقاتها في التربية الإسلامية، ص 134.

(3) زين الدين عبد المقصود، البيئة والإنسان، علاقات ومشكلات، ص 7-8.

(4) رسالة ماجستير من كلية التربية بالمدينة المنورة، جامعة الملك عبد العزيز، 1411هـ - 1991م.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

تحقيق أهداف حياته باعتباره خليفة الله في أرضه.

(2) الإسهام في إبراز قيم الإسلام التي توجب حماية البيئة وصيانتها من التلوث والاستخدام السيئ لمواردها.

(3) الكشف عن دور التربية الإسلامية في تنمية القيم البيئية في الإسلام لدى الإنسان المسلم؛ ليتشربها ويعكسها في سلوكه تجاه البيئة.

واستخدمت لتحقيق تلك الأهداف المنهج التحليلي الكيفي والمنهج الوصفي والمنهج المقارن.

وقد توصلت إلى نتائج من أهمها:

(1) أن معظم الدراسات البيئية الإسلامية وغير الإسلامية تكاد تتفق على أهمية تنمية القيم البيئية كأهم عنصر من عناصر التربية البيئية.

(2) وبرز دور التربية البيئية في محاولة لتحسين سلوك الإنسان البيئي بطريقة تؤكد على ضرورة العناية والاهتمام والالتزام بالعلاقة المتبادلة المثمرة بينهما.

(3) أن التربية الإسلامية تؤكد على ضرورة تحسين علاقة الإنسان بالبيئة عن طريق التقيد بالعلاقة المتبادلة بينهما طبقا لما جاء به الخالق سبحانه الذي خلق الإنسان والبيئة.

(4) أن علاقة الإنسان بالبيئة ليست علاقة عداوة وصراع وتحد، وليست علاقة سيطرة وعنف مدمر لها، بل إن العلاقة القائمة بينهما كما تحددها الشريعة الإسلامية هي علاقة صداقة وانسجام ووئام وترابط وتجاوب.

(5) أن القيم البيئية الإسلامية تكاد تنحصر في أربعة أبعاد رئيسة متكاملة فيما بينها، وتشمل كلا من قيم المحافظة، وقيم الاستغلال، وقيم التكيف والاعتقاد، وقيم الجمال، التي تتجه جميعها نحو تحقيق هدف مشترك وهو تحسين العلاقة الرابطة بين الإنسان والبيئة.

وأوصت الباحثة بناء على النتائج المتوصل إليها في دراستها بعدة توصيات، من أهمها:

(1) ضرورة توعية أفراد الأسرة بأهمية حماية البيئة والمحافظة عليها.

(2) ضرورة إعداد المعلم إعدادًا بيئيًا جيدًا.

(3) ضرورة الاهتمام بمنهج التربية البيئية في المراحل التعليمية المختلفة.

(4) زيادة الاهتمام بنشر جمعيات بيئية متعددة سواء حكومية أو أهلية.

(5) استغلال وسائل الإعلام المختلفة في بث التوعية البيئية عبر وسائلها المرئية والمسموعة.

الفرق بين الدراسة الحالية والدراسة السابقة:


المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

الدراسة السابقة في القيم البيئية والتي تعني: "مجموعة من الأحكام المعيارية المنبثقة من الأصول الإسلامية، التي تكون بمثابة موجهات لسلوك الإنسان تجاه البيئة، تمكنه من تحقيق وظيفة الخلافة في الأرض"[1].

هذا على مفهوم الدراسة السابقة للقيم، أما الدراسة الحالية ففي التربية الأخلاقية وأثرها في البيئة، وبما أن هناك تداخلًا بين الأخلاق والقيم يصعب التفرقة بينهما بدقة، فهي كلها موجهة للسلوك الإنساني، فإنه يمكن إبراز الفروق الدقيقة بين الدراسة السابقة والدراسة الحالية في النقاط التالية:

(1) دراسة الباحثة في القيم البيئية نفسها ثم دور التربية الإسلامية في توجيهها.

أما الدراسة الحالية ففي التربية الأخلاقية الإسلامية عمومًا وأثرها في البيئة، استثمارًا ومحافظة، وحلًا للمشكلات الطارئة.

(2) دراسة الباحثة هي دراسة نظرية طبعًا، ولكنها في القيم التطبيقية العملية الموجهة للسلوك الإنساني نحو البيئة من وجهة نظر إسلامية.

أما الدراسة الحالية فهي ذات زاويتين:

زاوية نظرية فلسفية تناولت فلسفة التربية الأخلاقية في الإسلام، الإلزام، والمسئولية، والجزاء.

وزاوية تطبيقية ركزت على أصول الأخلاق العملية في التربية الأخلاقية الإسلامية مع بيان العلاقة التأثيرية الإيجابية بين الجانبين الفلسفي والعملي كوحدة، وبين البيئة الطبيعية وهي كوكبنا الأرضي بكل مكوناته التي يتفاعل معها الإنسان سلبيًا أو ايجابيًا.

هذا وقد استفاد الباحث من الدراسة السابقة في بعض النصوص من الكتاب والسنة الواردة في البيئة.

خطة الدراسة:

- مقدمة.
- مشكلة الدراسة.
- تساؤلات الدراسة.
- أهمية الدراسة.
- أهداف الدراسة.
- حدود الدراسة.

(1) عزيزة محمود. القيم البيئية في الإسلام ودور التربية الإسلامية في تنميتها، (رسالة ماجستير).المدينة المنورة: جامعة الملك عبد العزيز- كلية التربية، 1991م.ص 100.


المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

- منهج الدراسة.
- مصطلحات الدراسة.
- الدراسات السابقة.
- خطة الدراسة.

**الفصل الأول: مفهوم التربية الأخلاقية الإسلامية والتنمية البيئية والعلاقة بينهما.**

**المبحث الأول:** مفهوم التربية الأخلاقية الإسلامية.

**المبحث الثاني:** مفهوم التنمية البيئية.

**المبحث الثالث:** العلاقة بين الأخلاق والبيئة.

**المبحث الرابع:** أهداف التربية الأخلاقية الإسلامية وأثرها في التنمية البيئية.

**الفصل الثاني: الإلزام الخلقي في التربية الأخلاقية الإسلامية وأثره في التنمية البيئية.**

**المبحث الأول:** مفهوم الإلزام الخلقي.

**المبحث الثاني:** مصادر الإلزام الخلقي في التربية الأخلاقية الإسلامية وأثرها في التنمية البيئية.

**المبحث الثالث:** خصائص الإلزام الخلقي في التربية الأخلاقية الإسلامية وأثرها في التنمية البيئية.

**الفصل الثالث: المسؤولية الخلقية في التربية الأخلاقية الإسلامية وأثرها في التنمية البيئية.**

**المبحث الأول:** مفهوم المسؤولية الخلقية.

**المبحث الثاني:** معايير المسؤولية الخلقية في التربية الأخلاقية الإسلامية وأثرها في التنمية البيئية.

**المبحث الثالث:** المسؤولية الأخلاقية البيئية.

**الفصل الرابع: الجزاء الخلقي في التربية الأخلاقية الإسلامية وأثره في التنمية البيئية.**

**المبحث الأول:** مفهوم الجزاء الخلقي.

**المبحث الثاني:** أنماط الجزاء في التربية الأخلاقية الإسلامية وأثرها في التنمية البيئية.

**الفصل الخامس: أهم أصول الأخلاق العملية في التربية الأخلاقية الإسلامية وأثرها في التنمية البيئية.**

**المبحث الأول:** الإيمان وأثره في التنمية البيئية.

**المبحث الثاني:** العدل وأثره في التنمية البيئية.

**المبحث الثالث:** الرحمة وأثرها في التنمية البيئية.

**الخاتمة**

- ملخص نتائج الدراسة.
- التوصيات.


المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

- المقترحات.
- فهرس الموضوعات.

الفصل الأول: مفهوم التربية الأخلاقية الإسلامية والتنمية البيئية والعلاقة بينهما.

المبحث الأول: مفهوم التربية الأخلاقية الإسلامية.

**أولًا: الأخلاق في اللغة.**

الأخلاق لغة: جمع خُلُق -بضم الخاء واللام-.

ومادة الكلمة (خ ل ق) كما يقول ابن فارس: تدور معانيها في الأصل الوضعي العربي على معنيين: تقدير الشيء، وملامسته، ثم بين أن الخلُق يرجع للأصل الأول، فقال: "... ومنه الخُلق، وهي السجية؛ لأن صاحبه قد قُدر عليه"(1).

وقال الراغب: "الخلْق والخلُق في الأصل واحد، لكن خص الخلْق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخلُق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة"(2).

ويطلق الخلُق ويراد به الدين كذلك قال ابن منظور: "الخلُق هو الدين والطبع والسَجِية..."(3).

**ثانيًا: الأخلاق في الاصطلاح العام.**

الأخلاق في الاصطلاح العام، أو المفهوم التجريدي هي: انعكاسات تصرف الإنسان سلبيًا كان أم ايجابيًا، قال الماوردي: "هي غرائز كامنة تَظهر بالاختيار وتُقهر بالاضطرار"(4).

وهذا التعريف مطابق لمعنى السلوك الإنساني العام، وعليه فالأخلاق: "كل ما يتصف به الإنسان من صفات حميدة أو مذمومة، فإذا كانت حميدة سميت معالي الأخلاق أو فضائل الأخلاق، وان كانت ذميمة سميت رذائل الأخلاق أو منكرات الأخلاق"(5).

وعلى هذا المفهوم العام قول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ وَمَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»(6).

(1) ابن فارس، أحمد. معجم مقاييس اللغة، 2/213-214.

(2) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. المفردات في غريب القرآن، ص 158.

(3) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم. لسان العرب، 10/86.

(4) الماوردي، علي بن محمد بن حبيب. تسهيل النظر وتعجيل الظفر، ص 5.

(5) خالد الحازمي. التوجيه الإسلامي للتنشئة الخلقية بين الأسرة والمجتمع، (رسالة دكتوراه). المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية – كلية الدعوة وأصول الدين، 1996م.ص 74.

(6) الألباني، محمد ناصر الدين. صحيح الجامع الصغير للسيوطي، مج2ص123.ح (1797).



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

**ثالثًا: الأخلاق في النظريات الفلسفية المعاصرة.**

يتضمن (مصطلح الأخلاق morals) في الاتجاه المعاصر للتربية الأخلاقية معنى السلوك، أما صفات (أخلاقي moralوغير أخلاقي immoral) فتشير إلى السلوك المقبول والسلوك غير المقبول[1].

ومعايير قَبول الأخلاق وعدم قَبولها يحددها المجتمع وتتجسد فيما يسمى بالقواعد الأخلاقية moral rues والقواعد الأخلاقية تهتم بشكل رئيسي بصيانة الثقة والمساعدة المتبادلة والعدالة في العلاقات الإنسانية[2].

**رابعًا: الأخلاق في الإسلام.**

إذا أطلقت الأخلاق في الإسلام فهي تنسحب على الجانب الايجابي من السلوك الإنساني، والايجابية هنا يقررها الوحي الإلهي، والفِطَر والعقول السليمة، ويسمى التعامل الحسن، سواء مع الخالق أو مع الذات، أو مع الآخرين من بشر وحيوان وبيئة طبيعية عامة.

ولذا فالأخلاق الإسلامية هي: "مجموعة المبادئ والقواعد المنظِّمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي، لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقاته بغيره على نحو تحقيق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه"[3].

ومما ورد في هذا المعنى قوله تعالى في النبي ﷺ: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} [4]، أي: الأدب العظيم[5].

**خامسًا: مفهوم التربية الأخلاقية الإسلامية.**

سبق تعريف الأخلاق، أما التربية بالمفهوم التجريدي فهي: "بلوغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا"[6].

والتربية الإسلامية هي: "إعداد المسلم إعدادا كاملًا من جميع النواحي في جميع مراحل نموه للحياة الدنيا والآخرة في ضوء المبادئ والقيم وطرق التربية التي جاء بها الإسلام"[7].

(1) ماجد عرسان الكيلاني. اتجاهات معاصرة في التربية الأخلاقية، ص 25.
(2) المصدر نفسه، ص 25.
(3) مقداد يالجن. التربية الأخلاقية الإسلامية، ص 75.
(4) القلم: 4.
(5) الطبري. محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، 13/28.
(6) البيضاوي. ناصر الدين، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 3/1.
(7) مقداد يالجن. أهداف التربية الإسلامية وغاياتها، ص 20.


المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

ولِيتَفق التعريف مع عالمية التربية الإسلامية يمكن أن يقال: (إعداد الإنسان) بدل (إعداد المسلم).

وبناء على تعريف الأخلاق والتربية عمومًا والتربية الإسلامية، فإن مفهوم التربية الأخلاقية الإسلامية هي: "بناء الأجيال المسلمة على نحو يلتزمون فيه بالسلوكيات الحسنة والخيرة، ويتركون السلوكيات القبيحة والشريرة في كل الظروف والأحوال"(1).

ولتحقيق عالمية التربية الأخلاقية الإسلامية يمكن أن يقال: "إعداد الإنسان على نحو يلتزم فيه بالسلوكيات الخيرة، ويترك السلوكيات الشريرة في كل الظروف والأحوال".

المبحث الثاني: مفهوم التنمية البيئية.

**أولًا: مفهوم التنمية.**

التنمية في اللغة العربية: مصدر على وزن تفعِلة، ومادة الفعل (ن م وحرف معتل).

قال ابن فارس في دلالة المادة: "النون والميم والحرف المعتلّ أصلٌ واحدٌ يدلُّ على ارتفاع وزِيادة. ونَمَى المالُ ينمِي: زاد. ونَمَى الخِضَابُ يَنْمِي ويَنْمُو، إذا زاد حمرةً وسواداً. وتنَّمى الشَّيء: ارتفعَ من مكانٍ إلى مكان"(2).

والتنمية في المفهوم العام مصطلح جديد ظهر في الغرب كمصطلح علمي عام 1949م، وكان خاصًا بالمجال الاقتصادي، ثم تطور ليشمل الجوانب الإنسانية كافة(3).

ومن ثم تعددت تعاريفه تبعًا لتعدد المجالات الإنسانية، والخلفيات الفكرية والثقافية، إلا أن تلك التعاريف بمجملها تتفق على أن التنمية تعني الزيادة، ومن تعاريفها: "التحريك العلمي المخطط لمجموعة من العمليات الاجتماعية والاقتصادية من خلال عقيدة معينة؛ لتحقيق التغيير المستهدف بغية الانتقال من حالة غير مرغوب فيها إلى حالة مرغوب فيها"(4).

وليتفق تعريف التنمية مع مقاصد التربية الأخلاقية الإسلامية يمكن أن يقال: الزيادة المدروسة في كم الأشياء وجودتها وفق المعايير والضوابط الشرعية والأخلاقية الإسلامية.

(1) المؤلف نفسه. مناهج البحث وتطبيقاتها في التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص 134.

(2) ابن فارس، أحمد. معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، 479/5.

(3) موقع إسلام أون لاين، http://www.islamonline.net. الجمعة، 2010/4/1م.

(4) نبيل السمالوطي. علم اجتماع التنمية – دراسة في اجتماعيات العالم الثالث -، ص 12.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

**ثانيًا: مفهوم البيئة.**

مصطلح البيئة لم يستخدم في اللسان العربي، بل جاء من مادته (بوأ) يقال: تبوأتُ منزلًا، أي نزلته. والمباءة منزل القوم في كل موضع[1].

والبيئة (environment) بالمعنى الاصطلاحي هي: الوسط أو المجال المكاني الذي يعيش فيه الإنسان فيتأثر به ويؤثر فيه[2].

وهناك علاقة واضحة بين هذا المفهوم والمادة اللغوية العربية؛ بل المفهوم العربي للمادة أدق بحيث يعني تهيئة المكان الصالح المناسب[3]، ومنه قوله تعالى {**وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا**} [4]، أي أرشده إلى مكانه وسلمه له وأذن له ببنائه[5].

واستخدم القرآن الكريم للدلالة على الوسط الذي يعيش فيه الإنسان مؤثرًا ومتأثرًا لفظ (الأرض) قال تعالى: {**وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا**} [6].

وعلى هذا فالبيئة تنسحب على مجموعتين رئيستين من المكونات: المكون الطبيعي، والمكون البشري، وهو المفهوم الذي تبنه مؤتمر استكهولم عام 1972م حيث يقول: إنها -البيئة- كل ما يحيط بالإنسان سواء أكان من عمل الطبيعة أو من صنعه هو[7].

**ثالثًا: أنماط البيئة.**

أنماط الوسط الذي يعيش فيه الإنسان (البيئة) عمومًا نمطان:

(1) البيئة الطبيعية: وتتمثل في أشياء فيزيائية، كالطقس، والضغط الجوي، والهواء والماء، وأشياء عضوية، كالنبات والحيوان، وهذه المكونات تتكامل فيما بينها وتتناسق، ويؤثر بعضها في بعض[8].

(1) الجوهري. إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، 37/1.
(2) زين الدين عبد المقصود. البيئة والإنسان، مرجع سابق، ص 7-8.
(3) حسين مصطفى غانم. الإسلام وحماية البيئة من التلوث، ص 13.
(4) الحج: 26.
(5) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم، 425/4.
(6) الأعراف: 56.
(7) حسين مصطفى غانم. الإسلام وحماية البيئة من التلوث، مرجع سابق، ص 15-16.
(8) المصدر نفسه. ص 17.


المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

فمثلًا حرارة الشمس تُبَخِّر مياه المسطحات المائية ويتحول البخار إلى سحاب تسوقه الرياح إلى الأرض الميتة، فينزل مطرًا ينبت الزرع والثمار غذاء للكائنات الحية، وكل ذلك بأمر الله سبحانه. قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ} (1).

(2) البيئة المشيدة: وتسمى أيضًا البشرية والحضارية(2)، وتشمل الإنسان ومُنجَزاته الصناعية والاقتصادية التي طورها داخل البيئة الطبيعية(3).

رابعًا: التنمية البيئية في الإسلام.

التنمية البيئية بالمفهوم العام هي: "تحقيق درجة من الإدراك والفهم بمشكلات البيئة والتوازن البيئي والعلاقات المتداخلة بين عناصر النظام البيئي، وتكوين اتجاهات عقلية ومبادئ للحفاظ على البيئة واستغلال مواردها بعقلانية، واكتساب مهارة اتخاذ القرار وحل المشكلات البيئية وصيانتها والاستغلال الرشيد لمواردها بما يضمن تحسين نوعية ومستوى المعيشة، والعيش في وفاق مع البيئة"(4).

واسترشادًا بهذا التعريف يمكن أن تعرف التربية البيئية في الإسلام بأنها: "تحقيق درجة من الإدراك والوعي بالقيم البيئية، وحسن استثمار عناصر البيئة بما يحقق الخير للبشرية جمعاء، والقدرة على علاج المشكلات البيئية الطارئة وفق المنهج الإسلامي".

المبحث الثالث: العلاقة بين الأخلاق والبيئة.

خلق الله البيئة للإنسان وسخرها له، واستخلفه فيها وحمَّله أمانة الحفاظ عليها وتنميتها، ومن ثم فإن أي تطور سلبي أو ايجابي يحدث في البيئة فهو انعكاس للسلوك البشري، والعلاقة التأثيرية التأَثُّرية متبادلة بين الإنسان ومحيطه البيئي، ويمكن تلخيص هذه العلاقة في النقاط التالية:

أولًا: أثر الأخلاق في البيئة.

عندما تلاحظ البشرية التلوث البيئي الهائل للبيئة، فإنها تدرك بكل جلاء أن السلوك الإنساني كان وراءه، والعكس صحيح، فمظاهر الرقي البيئي النافع أيضًا يفتخر الإنسان بإحداثه.

والتربية الإسلامية ربطت في عدة مواقف بين الأخلاق والبيئة من حيث تأثير الأخلاق في البيئة.

(1) السجدة: 27.

(2) حسين مصطفى غانم. الإسلام وحماية البيئة من التلوث، مرجع سابق، ص 14.

(3) زين الدين عبد المقصود. البيئة والإنسان، مرجع سابق، ص 7-8.

(4) سمير عبد الوهاب الخويت . التربية وتحديات التنمية البيئية في دول الخليج العربية، مجلة كلية التربية بالمنصورة، مرجع سابق، ع 31ماي 1996م ص 123.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

قال تعالى: {وَأَن لَّوِ إِسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقاً} [1]، فهنا ربط بين استقامة البشرية، وحصول البركة في البيئة التي عمروها، وقال سبحانه: {وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلاَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ} [2]، فكأن الإحسان ينتج عدم الإفساد في الأرض.

ويقول ﷺ: «**لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»[3].

فنفي الإيمان أو ضعفه وهو من أصول الأخلاق في الإسلام يؤدي إلى ظهور مشاكل الزنا، وهو يؤدي إلى انتشار الأمراض بين البشرية، وربما تنتقل حتى للكائنات الحية الأخرى، كما أن شرب الخمر له آثاره السلبية على البيئة أيضًا.

**ثانيًا: أثر البيئة في الأخلاق.**

البيئة الطبيعية تؤثر في الخلق الإنساني كذلك كما ذكر ذلك ابن خلدون[4]، وأكدته الدراسات الحديثة، حتى ظهر فرع جديد من فروع علم النفس هو علم النفس البيئي، والذي يدرس علاقة الإنسان بالبيئة من حيث تأثير المناخ والبيئة في الشخصية الإنسانية.

ظهر ذلك خلال نظرية المجال لكيرت ليفين في الأربعينيات من القرن العشرين (1890 - 1947) وعمله على الجماعات البشرية وحراكها، كما اهتمت مدرسة الجشطالت الألمانية في علم النفس بتأثير البيئة على السلوك، ومن أنصارها كهلر وكوفكا[5].

ويؤيده ما جاء في السنة النبوية قوله ﷺ: «**رَأْسُ الكُفْرِ نَحْوَ المَشْرِقِ، وَالفَخْرُ وَالخُيَلاَءُ فِي أَهْلِ الخَيْلِ وَالإِبِلِ، وَالفَدَّادِينَ أَهْلِ الوَبَرِ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الغَنَمِ**»[6].

(1) الجن: 16.
(2) القصص: 77.
(3) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. كتاب المظالم، الباب الثلاثون: باب النهبى بغير إذن صاحبه، ص 400. ح: (2475)
(4) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. مقدمة ابن خلدون، ص 86.
(5) عبدا لرحيم محمد العيوي موقع البيئة الخط الأخضر.http://greenline.com الاثنين 2010/3/28م
(6) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. مرجع سابق، كتاب بدء الخلق، الباب الخامس عشر: باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، ص 549. ح: (3301)


المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

قال بعض شراح الحديث: "وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ سَبَبَ سَكِينَتِهِمْ لِضَعْفِهَا وَقِلَّةِ اسْتِعَانَةِ أَهْلِهَا بِهَا فِي مُحَارَبَةِ عَدُوٍّ وَمُنَاوَأَتِهِ، فَرَغِبُوا فِي الْمُسَالَمَةِ، وَتَخَلَّقُوا بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ وَالْكَفِّ عَنْ الْأَذَى"(1).

ويؤيده قوله ﷺ: «وَصَلُّوا فِي مُرَاحِ الْغَنَمِ، فَإِنَّهَا هِيَ أَقْرَبُ مِنْ الرَّحْمَةِ»(2) .

**ثالثًا: أثر الأخلاق الإسلامية في البيئة.**

الأخلاق الإسلامية تؤثر تأثيرًا ايجابيًا مطلقًا على البيئة، لأنها كلها خيرة، يقول ﷺ « **إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ**»(3)، ففي هذا الحديث روح الأمل المرتبط بالإيمان وأثره في الاستثمار البيئي النافع.

وجاء في صحيح البخاري في كتاب الحرث والمزارعة منظومة من الأخلاقيات البيئية المتكاملة في الاستثمار البيئي التي تضع ضوابط إنسانية للاستثمار البيئي تحافظ على البيئة وحقوق الآخرين، وخص الإمام البخاري لذلك بابًا مستقلًا فقال: "باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بآلة الزرع أو مجاوزة الحد الذي أمر به"(4).

وأبو بكر الصديق رضي الله عنه أقرب الصحابة للنبي ﷺ وأكثرهم تأثيرًا بسيرته كان إذا بعث جيوشه للشام يوصي قائدهم بقوله: «**لَا تَقْتُلَنَّ صَبِيًّا، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا كَبِيرًا هَرِمًا، وَلَا تَقْطَعَنَّ شَجَرًا مُثْمِرًا، وَلَا تُخَرِّبَنَّ عَامِرًا، وَلَا تَعْقِرَنَّ شَاةً وَلَا بَعِيرًا إِلَّا لِمَأْكَلَةٍ، وَلَا تُغْرِقَنَّ نَخْلًا، وَلَا تَحْرِقَنَّهُ، وَلَا تَغْلُلْ، وَلَا تَجْبُنْ**»(5).

وسيأتي مزيد بيان في الفصل الخامس.

**رابعًا: أثر مفهوم التربية الأخلاقية الإسلامية في التنمية البيئية.**

مفهوم التربية الأخلاقية الإسلامية يؤسس لبيئة نقية صالحة، ويعطي للبشرية المعايير الصحيحة لاستثمار البيئة الاستثمار الأمثل، والمحافظة عليها من التلوث، لأنه -أي: المفهوم-يعتمد على أساسين رئيسين: المنفعة الحقيقية للجميع، أي المصلحة الشاملة، في الاستثمار البيئي، وترك كل ما يضر بالبيئة ومصالح البشرية.

(1) الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف. المنتقى شرح موطأ إمام دار الهجرة، 290/7.
(2) ابن حنبل، أحمد. المسند، 174/34. ح (20557).
(3) المصدر نفسه. 296/20. ح (12981).
(4) البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. مرجع سابق، كتاب الحرث والمزارعة، الباب الثاني: ص 372-373.
(5) ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد. المصنف، 378/11-379، كتاب البر، الباب الخامس والتسعون: باب من ينهى قتله في الحرب.


المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

قال تعالى: {هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ}[1]، فكل وسيلة تؤدي إلى الإعمار والتنمية الحقيقية فهو مرغوب وأخلاقي.

وقال سبحانه: {وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا}[2].

فكل وسيلة تضر بالبيئة وبمكوناتها الأساسية، التوازن البيئي، والحياة الفطرية، أو يضر بالبشرية فهو غير أخلاقي وغير مرغوب فيه، وينال من يتعمد ذلك جزاءه الدنيوي والأخروي.

المبحث الرابع: أهداف التربية ألأخلاقية الإسلامية وأثرها في التنمية البيئية.

تُدرس الأهداف من عدة زوايا، وفي هذه الدراسة أُخذت من الزوايا التالية:

**أولًا: الأهداف الوجدانية.(الروحية)**

ويُعنى في هذه الدراسة بالأهداف الوجدانية الجانب النفسي بوجه عام، وهي التي تتعلق بالحب والتقبل، ومن هنا فإن التربية الأخلاقية الإسلامية تسعى أن يصبح الإنسان محبًا للخير، متقبلًا له مدافعًا عنه.

ويؤثر هذا الهدف العام المكون من عدة تفاعلات ومكونات ومؤثرات في التنمية البيئية من حيث يصبح الإنسان محبًا للبيئة، ومقدرًا لها فهي خلق الله ونعمته، فيسعى لاستثمارها على ضوء الوحي والحفاظ عليها من الأضرار والشرور في شتى المجالات.

**ثانيًا: الأهداف المعرفية (العقلية).**

الأهداف المعرفية عمومًا تستهدف العقل البشري، وتنويره بالعلم النافع، ومعرفة آيات الله المشهودة والمقروءة، ليصبح الإنسان فاهمًا فلسفة الوجود والكون والحياة، ومدركًا العلاقات الرابطة بينها.

ويؤثر هذا في التنمية البيئية من حيث:

(1) فهم العلاقة بين البيئة والإنسان.

(2) فهم البعد الديني في العلاقات البيئية والإنسانية.

(3) فهم الاستثمار البيئي الأمثل.

(4) إدراك مفاهيم وأبعاد الضرر البيئي، وبالتالي استثمار البيئة استثمارًا نافعًا للجميع وصيانتها من الدمار.

(1) هود: 61.

(2) الأعراف: 56.


المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

**ثالثًا: الأهداف المهارية (المادية).**

الأهداف المهارية تُعنى ببناء الجانب العملي والمهني لدى الإنسان، والهدف الوجداني والمعرفي يؤديان إلى مهارة يمتلكها المرء في مجال معين.

وهذا الهدف يؤثر في التنمية البيئية من حيث استثمار البيئة استثمارًا ذكيًا متوازنًا، يوازي بين المصالح والمفاسد، فليس من المهارة تحقيق قدر من التطور الصناعي، وتدمير قدر كبير من مقدرات البيئة وطاقاتها.

فالتربية الأخلاقية الإسلامية تستهدف إعمار الأرض بواسطة الإنسان وتنميتها من خلال وسائل لا تضر بالبيئة ولا بمكوناتها الطبيعية والبشرية.

الفصل الثاني:

الإلزام الخلقي في التربية الأخلاقية الإسلامية وأثره في التنمية البيئية

المبحث الأول: مفهوم الإلزام الخلقي.

**أولًا: المفهوم اللغوي للإلزام الخلقي.**

مادة الكلمة في اللغة العربية على رأي ابن فارس أصل واحد يدل على مصاحبة الشيء بالشيء، يقال: لزمه الشيء يلزمه[1].

ومنه الإيجاب والثبوت والدوام، يقال: لزم الشيء لزومًا ثبت ودام. وألزم الشيء: أثبته وأدامه. وألزم فلانًا الشيء: أوجبه عليه. والتزم الأمر أوجبه على نفسه[2].

**ثانيًا: المفهوم العام للإلزام الخلقي.**

الإلزام الخلقي بالمفهوم العام هو: "تكليفُ ممن هو قادر على الأمر والنهي ثم مجازاة المكلَّف على موقفه من ذلك التكليف"[3].

**ثالثًا: الإلزام الخلقي في بعض النظريات الفلسفية.**

يعرف الإلزام الخلقي في بعض النظريات الفلسفية: بأنه "ما ينبغي عمله دون قسر أو إرغام"[4].

**رابعًا: مفهوم الإلزام الخلقي في التربية الأخلاقية الإسلامية.**

(1) ابن فارس. أحمد، معجم مقاييس اللغة. مرجع سابق، 245/5.
(2) إبراهيم مصطفى وآخرون. المعجم الوسيط، ص 823.
(3) عبد الله بن محمد العمرو. الأخلاق بين المدرستين السلفية والفلسفية (مسكويه وابن القيم نموذجا)، ص 260.
(4) جميل صليبا. المعجم الفلسفي ص 209 (بتصرف).


المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

الإلزام الخلقي في التربية الأخلاقية الإسلامية هو: "أمر بالفضيلة الخُلُقية بمعنى وضع تشريع خُلُقي، وتكليف الإنسان الأخذ به والعمل بمقتضاه، مع مسؤوليته على هذا التكليف، وجزاء متوافق مع موقفه منه"[1].

وبناء على هذا التعريف فالإلزام الخلقي أمر رباني، ويقابله نهي رباني عن سلوك خُلُقي معين.

والأوامر الشرعية ثلاثة أقسام:

(1) أمر يقتضي الوجوب مثل قوله تعالى: {وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ}[2].

(2) أمر للندب.مثل قوله ﷺ: «أَفْشُوا السَّلَامَ»[3] .

(3) أمر للإباحة[4] مثل قوله تعالى: {وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ}[5].

والنواهي قسمان:

(1) منهي عنه حرام، مثل قوله سبحانه: {وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا}[6].

(2) منهي عنه مكروه، مثل قوله ﷺ: «لَا يُمْسِكَنَّ أَحَدُكُمْ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَهُوَ يَبُولُ وَلَا يَتَمَسَّحْ مِنْ الْخَلَاءِ بِيَمِينِهِ وَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الْإِنَاءِ»[7].

ومن المسلمات أن مأمورات الله مصالح محضة، وما نهى عنه شر محض.

**خامسًا: أثر مفهوم الإلزام الخلقي في التربية الأخلاقية الإسلامية في التنمية البيئية.**

الإلزام الخلقي مصدره الله سبحانه كما سيأتي توضيحه، وهو أوامر ونواهي، وهي خاصة المتعلقة بالشأن البيئي لها أثر في التنمية البيئية، من حيث أن الله سبحانه لا يأمر إلا بما يحقق مصالح العباد، وينهى عما فيه مفاسدهم. وخصوصًا ما يتعلق بالبيئة.

(1) عبد الله بن محمد العمرو. الأخلاق بين المدرستين السلفية والفلسفية، مرجع سابق، ص 260.
(2) البقرة: 43.
(3) مسلم بن الحجاج النيسابوري. صحيح مسلم. كتاب الإيمان، الباب الثالث والعشرون، ص 44. ح: (194)
(4) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق , 452/2.
(5) المائدة: 2.
(6) الأعراف: 56.
(7) مسلم بن الحجاج النيسابوري. صحيح مسلم. مرجع سابق، كتاب الطهارة، الباب الثامن عشر: باب النهي عن الاستنجاء باليمين، ص 126.ح (613)


المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

كما أن الإلزام بهذا المفهوم له قوة الإجبار لا الاختيار في المحافظة على البيئة واستثمارها الاستثمار الخالي من الدمار والفساد، قال تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا} [1]

فهذا نهي من الله بعدم الإفساد في الأرض، ويقابله الإصلاح والإعمار، وهو نهي ملزم، يضع الإنسان في إطار المسئولية الخُلقية المباشرة في التعامل مع البيئة.

المبحث الثاني: مصادر الإلزام الخلقي في التربية الأخلاقية الإسلامية وأثرها في التنمية البيئية.

هناك اتجاهات مختلفة في مصادر الإلزام الخلقي وتتكتل حول اتجاهين رئيسين:

(1) الاتجاه الخارجي، أي يُرجع سلطة الإلزام إلى مصادر خارجية، فذهب (أوجست كونت) و(دوركهايم) و(ليفي بريل) وغيرهم إلى أن الجماعة هي مصدر الإلزام الخلقي[2].

وذهب رجال اللاهوت أمثال (أمبروز) و(القديس أوغسطين) و(توما الأكويني) إلى أنه الدين[3].

(2) الاتجاه الذاتي: أي يُرجع سلطة الإلزام إلى ذات الإنسان، ولهذا الاتجاه ثلاثة أبعاد هي:

البعد العقلي، ومن أنصاره (صمويل كلارك) و(ولاستون).

البعد الوجداني، أو الحاسة الخُلقية، ومن أنصاره (هاتشيسون) و(آدم سميث) و(جان جاك روسو).

الاتجاه البرجماتي المنفعي، أي أن الإنسان بطبيعته يسعى لما يجد فيه لذته، ويتجنب ما فيه ألمه وشقاءه[4].

(1) الأعراف: 56.

(2) مقداد يالجن. علم الأخلاق الإسلامية، ص 232.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

أما التربية الأخلاقية الإسلامية فمصدر الإلزام الخلقي واحد يتمثل في الوحي الإلهي، وما يتفرع عنه، وهي كالتالي:

**أولًا: القرآن الكريم.**

وهو أصل التشريع الأخلاقي والإلزام الخلقي، وبقية المصادر مستمدة منه وراجعة إليه؛ لأنه كلام رب العالمين، فيه الهدى والنور للبشرية جمعاء قال تعالى: {إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ} [1].

وقال سبحانه: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ} [2].

وأهمية هذا المصدر للتنمية البيئية أن التشريع الخلقي يعبر عن كلمة الله، والإرادة الإلهية للبشرية في علاقات الإنسان المتعددة، وخصوصًا العلاقة البيئية.

وإذا كان الإلزام من عند الله فإن البشرية المتبصرة تتقبل الإلزام الإلهي المتمثل في الأوامر والنواهي بكل طاعة واستسلام، وممارسة عملية تترجم ذلك التقبل إلى عمل حقيقي ينمي البيئة ويحافظ عليها من الدمار وفق الإرادة الإلهية.

قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} [3].

ويخاطب البشرية جمعاء لتقبل التشريع الخلقي الإلهي فيقول عز من قائل: {ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ} [4].

فالخطاب في الآية كما قال أهل التفسير موجه للكافرين برسالة الإسلام، يدعوهم سبحانه للاستجابة للحق [5].

(1) الإسراء: 9.
(2) النحل: 89.
(3) الأحزاب: 36.
(4) الشورى: 47.
(5) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، مرجع سابق، 43/25.


المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

**ثانيًا: السنة.**

السنة: هي مجموع أقوال النبي ﷺ وأفعاله، وتقريراته، وجميع مواقفه الضمنية استحسانًا أو رفضًا[1].

وعلماء الإسلام متفقون على أن السنة النبوية مصدر ثان للتشريع الإسلامي ومنه الخلقي[2].

وفي السنة النبوية زيادة توضيح وتفسير لما في القرآن الكريم، كما في سيرته ﷺ الممارسة العملية للتوجيهات الإلهية، مما يعطي للبشرية الفرصة؛ بل والمعرفة اللازمة لتطبيق الشريعة، فهو القدوة والمثل الأعلى للبشرية.

قال تعالى: {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ}[3].

والتعامل مع السنة من حيث الاعتقاد والامتثال هو نفسه التعامل مع القرآن الكريم بشرط صحتها سندًا ومتنًا.

إلا في جانب الحفظ والتلاوة فيمكن روايتها بالمعنى على قول كثير من أهل العلم، في حين لا يجوز ذلك في القرآن باتفاق[4]، كما أن القرآن يتعبد بمطلق تلاوته، بخلاف السنة[5].

وقد أكد القرآن الكريم على مصدرية السنة للإلزام الخلقي في قوله سبحانه: {وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ}[6]، وقوله سبحانه: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا}[7].

ونفس أثر القرآن الكريم في التنمية البيئية ينسحب هنا على السنة، وفي السنة زيادة اكتساب المهارة في التعامل البيئي، بفعل الاقتداء بالتطبيق العملي للنبي ﷺ في علاقاته المختلفة وخصوصًا مع البيئة.

ومن أبسط الأمثلة أن النبي ﷺ كان يستتر في قضاء حاجته حضرًا وسفرًا[8] تربية للأمة على حفظ البيئة العامة، كما وجه الأمة لذلك بالقول فقال: «**اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ» قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللهِ؟**

(1) محمد عبد الله دراز. دستور الأخلاق في القرآن دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن، تعريب: عبد الصبور شاهين، ص 37 (حاشية).

(2) المصدر نفسه. (متن).

(3) الأحزاب: 21.

(4) محمد سنان سيف. أصول الفقه الإسلامي، ص 73.

(5) المصدر نفسه. ص 24.

(6) الحشر: 7.

(7) النساء: 65.

(8) ينظر: مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. مرجع سابق كتاب الطهارة، باب التستر عند البول، ص 151.ح: (774)



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

**قَالَ: «الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ فِي ظِلِّهِمْ»**[1]، ولهذه التوجيهات الأخلاقية بعدها البيئي، فهل إفرازات البشر العضوية الطبيعة أخطر في الإذاية من الغازات والنفايات السامة؟

وفي الاستثمار البيئي فقد غرس ﷺ [2]، وحلب الشياه[3]، وغير ذلك من المواقف السلوكية النبوية ذات الأبعاد البيئية.

**ثالثًا: الإجماع.**

والإجماع عبارة عن اتفاق جملة أهل الحل والعقد من أمة محمد ﷺ في عصر من الأعصار على حكم واقعة من الوقائع[4]، وذلك بعد وفاته ﷺ [5].

وهذا الاتفاق لا يعتبر ولا يكون مصدرًا للإلزام إلا إذا كان مرده إلى مجموع الوثائق القرآنية والنبوية الصحيحة، ودراستها دراسة ناضجة، وبناء عليها يتم الاتفاق على الفكرة المعينة[6]، وهذا فالإجماع مستمد من الكتاب والسنة.

والقرآن الكريم أمر باتباع الإجماع بهذه المواصفات فقال سبحانه: {**وَمَنْ يُّشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُومِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيراً**}[7].

وبهذا فإن أثره في التنمية البيئية لا يخرج عما ذكر في القرآن والسنة، ويعطيه بعدًا أعمق من حيث اتفاق الفهم على الحكم المعين.

هذا وهناك مصادر أخرى مثل القياس، والمصالح المرسلة المعتبرة، وسد الذرائع وكلها ترجع إلى المصادر السابقة.

المبحث الثالث: خصائص الإلزام الخلقي في التربية الأخلاقية الإسلامية وأثرها في التنمية البيئية.

**أولًا: إمكانية العمل**: وفي ذلك يقول سبحانه: {**لاَ يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَاۚ**}[8].

(1) ابن حنبل، أحمد. المسند، مرجع سابق، 443/14. ح: (8853). وجاء في هامشه: (إسناده صحيح).
(2) ينظر: الألباني محمد بن ناصر الدين. مختصر الشمائل المحمدية، ص 31-32. ح: (18).
(3) ينظر: ابن حنبل: أحمد. المسند، مرجع سابق، 549/34. ح: (21071) وجاء في هامشه: (ضعيف).
(4)
(5) ابن السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي. جمع الجوامع في أصول الفقه، 177/1.
(6) محمد عبد الله دراز. دستور الأخلاق في القرآن، مرجع سابق، ص 47.
(7) النساء: 115.
(8) البقرة: 286.


المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

وهذا ذو دلالة واضحة على أن الأوامر الأخلاقية والنواهي التي تقابلها التي جاءت في القرآن الكريم في مكنة الإنسان وباستطاعته الامتثال لها.

وأثر هذه الخاصية في التنمية البيئية واضح، فإن الإنسان بمقدوره الامتناع عما يؤذي البيئة أو يدمرها، ويرجع الإقدام والإحجام في ذلك إلى اختيارات الشخص وهواه أو اختيار المجتمع أو المؤسسة وهواها؛ لأنها مكونة من مجموعة أشخاص طبعًا.

فبمقدور المؤسسات والدول الكف عن التسبب في تلويث البيئة بالصناعات المضرة، والاكتفاء بالنافع، وإن أدت تلك الصناعات إلى تلبية حاجات تحسينية أو كمالية للإنسان وحققت له لذة عاجلة.

فبالإمكان الكف عن سباق التسلح النووي، والالتزام بالتربية الأخلاقية الإسلامية في ترك الاستثمار في الضار وبالضار، فما أمر به الأخلاق القرآني بمقدور البشرية امتثالها بلا حرج ولا تفويت مصلحة، وكذلك النواهي.

**ثانيًا: اليسر العملي:** ليس الإلزام الخلقي في التربية الإسلامية ممكن الامتثال فحسب، بل هو ميسور، باستطاعة الإنسان الامتثال له بدون ألم أو إكراهات، وهذا ما يؤكده قوله تعالى: {**يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ**}[1] ويقول سبحانه {**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**}[2].

وعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا قَالَتْ: «**مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا**»[3].

وجاءت آية تبين أكثر المفاصلة في اليسر بين الشريعة الأخلاقية الإسلامية والديانات الأخرى فقال سبحانه: {**رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا**}[4].

وهذا اليسر للإلزام الخلقي في التربية الأخلاقية الإسلامية يسد الذرائع أمام الإنسان ومعاذيره الواهية في عدم الاستطاعة للامتثال، ولذلك قيمة قوية ومؤثرة في التنمية البيئية، فهل يستطيع إنسان أن يعلن صادقًا أنه لا يستطيع أن يمتثل الأخلاق الإسلامية وخصوصًا تلك التي لها علاقة بالبيئة؟

(1) البقرة: 185.

(2) الحج: 78.

(3) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. مرجع سابق كتاب المناقب، الباب الثالث والعشرون: باب صفة النبي ρ، ص 597. ح: (3560)

(4) البقرة: 286.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

هل يستطيع ملوثو البيئية ومفسدوها أن يعلنوا أنهم لا يستطيعون التوقف عن صناعة أسلحة الدمار والتلوث، أو رمي النفايات في البحار والصحاري ومواطن مخلوقات الله؟

لا يستطيعون ادعاء ذلك بالفعل؛ لأن الاستجابة لأوامر الله ونواهيه والتي تمثل التربية الأخلاقية الإسلامية ميسور سهل التطبيق.

**ثالثًا: التدرج:** وهو من مظاهر اليسر العملي، ومعنى ذلك أن التربية الأخلاقية الإسلامية في جانب الإلزام راعت الظروف الإنسانية الزمنية والمكانية والثقافية، فيمكن على سبيل المثال الامتناع عن سلوك معين وفق تدرج معين، يدل على ذلك نظريًا حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «**حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلاَمِ نَزَلَ الحَلاَلُ وَالحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لاَ تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا**»(1).

وشرب الخمر عادة سيئة وخلق مضر بالصحة الخاصة والعامة, ومن حيث التطبيق فنفس العادة السيئة حرمت في الإسلام بالتدرج بدأ بقوله تعالى: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ} (2)، ثم: {يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا} (3) إلى قوله عز وجل: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلأَنصَابُ وَٱلأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (4)، مراعيًا بذلك أحوال الناس وظروفهم وعاداتهم الموروثة.

وأهمية هذه الخاصية في التنمية البيئية تتجلى في أمور منها:

(1) يعكس التدرج اليسر في تطبيق الخلق الإسلامي وخصوصًا ما له علاقة بالتنمية البيئية، وفي الحقيقة كل الخلق الإسلامي له دور بيئي ايجابي؛ لأن مكارم الأخلاق تستهدف إصلاح الأرض في كل مستوياتها.

(2) يعطي التدرج للبشرية فرصة للتجارب في الاستثمار البيئي واختبارها، فإذا أدت تجربة معينة نتائج ايجابية طورت التجربة إلى ما هو أفضل، وإذا أعطت نتائج سلبية أمكن التوقف عنها والبحث عن بديل لها غير مضر بالبيئة.

---

(1) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. مرجع سابق، كتاب فضائل القرآن، الباب السادس: باب تأليف القرآن، ص 895-896. ح: (4993)

(2) النساء: 43.

(3) البقرة: 219.

(4) المائدة: 90.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

(3) كما أن التدرج له دور في علاج المشكلات البيئية بالتدرج، فربما لا تستطيع البشرية علاج مشكلة بيئية معينة بشكل فوري، ولكن التدرج يعطيها الفرصة للتخطيط للتخلص من المشكلة تدريجيًا.

وفي قمة كوبنهاجن الأخيرة حول الأرض طرحت أفكار تتناغم والتدرج في معالجة المشكلات البيئية من حيث التمويل وموضوعات المشكلات المطروحة للمعالجة[1].

(4) والتدرج كذلك يراعي الضرورة التي ربما تلجئ الإنسان إلى تعامل سيئ مع البيئة، ولكن بدافع الضرورة، والضرورة في التشريع الأخلاقي الإسلامي تعني: "بُلُوغُ الإنسان حَدًّا إنْ لَمْ يَتَنَاوَلْ الْمَمْنُوعَ هَلَكَ أَوْ قَارَبَ، كَالْمُضْطَرِّ لِلْأَكْلِ وَاللُّبْسِ بِحَيْثُ لَوْ بَقِيَ جَائِعًا أَوْ عُرْيَانًا لَمَاتَ أَوْ تَلِفَ مِنْهُ عُضْوٌ"[2]، وبذلك فهي تقدر بقدرها، أي إذا زال الضرر زال معه السلوك الأخلاقي، ومثل لذلك بأكل الميتة، والتداوي بالخمر وغير ذلك.

وفي المجال البيئي فقد يحتاج مثلًا لقطع غابات من أجل استيعاب النمو الديموغرافي المتزايد، ولكن يجب أن يؤخذ ذلك على قدر الضرورة المحتاج إليها، ومن هنا فرق العلماء بين الضرورة، والحاجة، والمنفعة، والزينة، والفضول[3].

ويؤخذ بالضرورة فقط من هذه المراتب في الاستثمار البيئي الضار، وكم من صناعة بيئية ضارة لا تدخل إلا في الزينة والفضول.

**رابعًا: الثواب الأخروي:** الحياة في التربية الأخلاقية الإسلامية لا تقتصر على الدنيا فقط، بل هي حياة ثانوية، أما الحياة الحقيقية فهي الحياة الأخروية الأبدية قال تعالى:{**وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ**}[4].

والحيوان: مبالغة في الحياة، أي الدائمة والمستمرة وغير منقطعة[5].

وقال سبحانه: {**وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ**}[6]، وامتثال أوامر الله في الدنيا هو الاستثمار الأمثل للسعادة الأخروية.

(1) موقع إسلام أون لاين. http://www.islamonline.net الخميس، 2010/3/31م

(2) الزركشي، بدر الدين بن محمد. المنثور في القواعد، 319/2.

(3) المصدر نفسه.

(4) العنكبوت: 64.

(5) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، 69/5.

(6) الأعلى: 17.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

وأثر هذه الخاصية في التنمية البيئية أن الحفاظ على البيئة ليس لمصلحة دنيوية عاجلة فحسب، بل يدخر ثوابه للدار الآخرة، والعكس صحيح، يقول ﷺ: «**دخلت امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ**»(1)، ودخل رجل الجنة في حسن معاملته لكلب بسقياه(2).

وبهذا التفكير يكون الحفاظ على البيئة أعمق وأشمل وأكثر ايجابية ونتاجا.

الفصل الثالث: المسؤولية الخلقية في التربية الأخلاقية الإسلامية وأثرها في التنمية البيئة.

مدخل:

يرتبط بفكرة الإلزام ناتجان يستلزم أحدهما الآخر بدوره، ويؤيده ويدعمه، هما فكرة المسؤولية وفكرة الجزاء، والواقع أن هذه الأفكار الثلاثة يأخذ بعضها بحجز بعض ولا يقبل الانفصام(3).

فما هي المسؤولية الخلقية وما أثرها في التنمية البيئية؟ و في المباحث التالية الإجابة عن هذا التساؤل:

المبحث الأول: مفهوم المسؤولية الخلقية.

**أولًا: المفهوم العام للمسؤولية.**

المسؤولية في المفهوم العام تعني: "كون الفرد مكلفًا بأن يقوم ببعض الأشياء وبأن يقدم عليها حسابًا إلى زيد من الناس"(4).

وهذه المسؤولية متولدة من الإلزام، وهي نفسها نوع خاص من الإلزام(5).

**ثانيًا: المسؤولية الخلقية في التربية الأخلاقية الإسلامية.**

المسؤولية الخلقية في التربية الأخلاقية الإسلامية هي: "تحمل الشخص نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العملية (السلوكية والخلقية) الايجابية والسلبية أمام الله في الدرجة الأولى، وأمام ضميره في الدرجة الثانية وأمام المجتمع في الدرجة الثالثة"(6).

وهذا يستلزم وجود الجهة التي تحمِّل الإنسان المسؤولية، تجاه ما التزم به، وفي التربية الأخلاقية الإسلامية فالمحَمِّل للمسؤولية هو الله سبحانه وتعالى على ما تقرر في الإلزام، قال تعالى: {**إِنَّا عَرَضْنَا**

(1) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. مرجع سابق، كتاب بدء الخلق، الباب السادس عشر: ص 551. ح: (3318)

(2) ينظر: المصدر نفسه. كتاب المساقاة، الباب التاسع: باب فضل سقي الماء، ص 380. ح: (2363).

(3) محمد عبد الله دراز. دستور الأخلاق في القرآن، مرجع سابق، ص 136.

(4) المصدر نفسه.

(5) المصدر نفسه.

(6) مقداد يالجن. علم الأخلاق الإسلامية، مرجع سابق، ص 252.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

**ٱلأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَّحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلإِنسَـٰنُ}** [1]، والأمانة هنا كما قال المفسرون: تعم جميع وظائف الدين.

ويؤيده الحديث الذي في المستدرك عن ابن عباس قال: {إِنَّا عَرَضْنَا ٱلأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَّحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا} قَالَ: " قِيلَ لِآدَمَ أَتَأْخُذُهَا بِمَا فِيهَا، فَإِنْ أَطَعْتَ غَفَرْتُ، وَإِنْ عَصَيْتَ حَذَّرْتُكَ؟ قَالَ: قَبِلْتُ. قَالَ: فَمَا كَانَ إِلَّا كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ حَتَّى أَصَابَ الذَّنْبَ"[2].

وهناك من فسر الأمانة بالصدق في الكلام، والعمل الصالح الخير، وأن يتم ذلك بروح الطاعة والتقوى[3].

**ثالثًا: أثر مفهوم المسؤولية الخلقية في التربية الأخلاقية الإسلامية في التنمية البيئية.**

يمكن توضيح أثر مفهوم المسؤولية الخلقية في التربية الأخلاقية في التنمية البيئية من خلال النقاط التالية:

(1) يوقف التعريفُ الإنسانَ على ثلاث جهات تحمّله المسؤولية: الله سبحانه وهو الأصل، فله الخلق والأمر سبحانه، ثم الضمير، ثم المجتمع.

ولو وعى الإنسان هذه الجوانب في تعامله مع البيئة، فإنه يدرك أنه مسئول أمام الله في تدميره للبيئة وسيجازى على فعله لا محالة في الدنيا أو في الآخرة، وهذا يدفع نحو تعامل مسئول مع البيئة، ومن الأمثلة التطبيقية على هذا الأثر ما رواه الإمام البخاري رحمه الله تعالى: «**عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، وَغُلَامٌ مِنْ بَنِي يَحْيَى رَابِطٌ دَجَاجَةً يَرْمِيهَا، فَمَشَى إِلَيْهَا ابْنُ عُمَرَ حَتَّى حَلَّهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ بِهَا وَبِالْغُلَامِ مَعَهُ فَقَالَ: ازْجُرُوا غُلَامَكُمْ عَنْ أَنْ يَصْبِرَ هَذَا الطَّيْرَ لِلْقَتْلِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «نَهَى أَنْ تُصْبَرَ بَهِيمَةٌ أَوْ غَيْرُهَا لِلْقَتْلِ**»[4].

(1) الأحزاب: 72.

(2) الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله. المستدرك على الصحيحين، 422/2، كتاب التفسير، تفسير سورة الأحزاب، وقال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي.

(3) مقداد يالجن. علم الأخلاق الإسلامية، مرجع سابق، ص 254.

(4) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. كتاب الذبائح والصيد، الباب الخامس والعشرون: باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة، ص 982.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

كما أن الضمير الإنساني يوقف الإنسان عند حد إنساني أخلاقي يراعي فيه مكونات البيئة، ويحفظها من التدمير أو يتجنب التدمير، والحس الإنساني المشترك يزجره عن التعدي على البيئة التي هي من الحقوق العامة في الغالب.

وأما المجتمع فيمكن زجر المتلاعبين بالبيئة المفسدين فيها إما بالقوانين الصارمة، أو اللوم المجتمعي الملقى على ملوثي البيئة، وقد شاهد العالم في قمة كوبنهاجن الأخيرة كيف كان اللوم المجتمعي حاضرًا في تلك القمة، وكان إلقاء المسؤوليات بين الأطراف، وتبادل الاتهامات بين الدول بشأن تلويث البيئة حاضرة كذلك[1]، مما يؤكد أهمية المجتمع مؤسسات ودولا في التنمية البيئية.

واستحضار الإنسان لهذه الجوانب مجتمعة (الله جل في علاه) (الضمير) (المجتمع) يعطيه القوة في اعتماد سلوك أخلاقي مسئول في التعامل مع البيئة.

(2) كما أن المفهوم يحمل الإنسان مسؤولية كل أعماله الايجابية والسلبية، الصغيرة والكبيرة، وهذا يؤجل السلوك الإنساني في الأعمال التي لم تتحدد مشروعيتها إلى حين تبين مشروعيتها وخيريتها، فلا يغامر بمستقبل البشرية بمجرد نظرية علمية أو فكرة توصل إليها، ولو أخذت الصناعات الحديثة وبشكل جماعي وملزم ومسئول بهذه الاعتبارات لما حدث هذا الدمار الهائل للبيئة، والذي بدأ يكلف البشرية جهدًا اقتصاديًا وبشريًا وبيئيًا، فطالما تمسكت الدول بالمصالح الاقتصادية في تدمير البيئة، والآن أصبحت تتحمل مسؤولية تلك المصالح بالإنفاق على ما أفسدوه من البيئة رجاء إنقاذ ما يمكن إنقاذه.

(3) والمفهوم كذلك يضع الإنسان المدمر للبيئة أمام ثلاث حقوق ضيعها حق الله، وحق النفس، وحق الآخرين من أبناء كوكبه الأرضي.

المبحث الثاني: معايير المسؤولية الخلقية في التربية الأخلاقية الإسلامية وأثرها في التنمية البيئية

التربية الأخلاقية الإسلامية تمتاز بالدقة في فلسفتها النظرية والتطبيقية، ومن ثم وضعت معايير معينة لتحمل المسؤولية وهي:

أولًا: الأهلية: وجاء في هذا المعيار قوله ﷺ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنْ الْمُبْتَلَى حَتَّى يَبْرَأَ، وَعَنْ الصَّبِيِّ حَتَّى يَكْبُرَ»[2].

(1) موقع إسلام أون لاين. http://www.islamonline.net الخميس، 2010/3/31م

(2) أبو داوود، سليمان بن الأشعث. سنن أبي داوود، ص 656. كتاب الحدود، الباب السادس عشر: باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا. ح: (4398). وقال الألباني: (صحيح).



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

وفي رواية: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنْ الْمَجْنُونِ الْمَغْلُوبِ عَلَى عَقْلِهِ حَتَّى يَفِيقَ، وَعَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنْ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ»(1).

ولكن لا يفهم من وجود الطفل مع الصنفين أنه مهمل في الشريعة الإسلامية؛ بل له نظامه الخاص المتكامل، وتُقرر في حقه ومن منظور التربية الأخلاقية الإسلامية كل مستويات النظرية الأخلاقية الإسلامية، الإلزام، والمسؤولية، والجزاء، إلا أنها لا توجه لهم مباشرة وهم في مرحلة الطفولة؛ بل توجه لآبائهم، والحكام، والأساتذة، والرؤساء، أي إلى الأمة بأكملها، فهي التي على كاهلها تقع مهمة تربيتهم، وتقويمهم، حتى تظفر بأقصى درجات التوافق مع القاعدة(2).

وتدرس هذه الأحكام في الكتب الفقهية تحت أبواب الحجر(3).

ثانيًا: العلم بالأخلاق التكليفية: وفي هذا المعيار يقول سبحانه: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا}(4).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»(5).

ثالثًا: الحرية الإرادية: يقول ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ»(6).

رابعًا: الإمكانية: قال تعالى: {لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ}(7)

خامسًا: أثر معايير المسؤولية الخلقية في التربية الأخلاقية الإسلامية في التنمية البيئية.

(1) المصدر نفسه، ص 656-657، ح: (4401).
(2) محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، مرجع سابق، ص 166-167.
(3) ينظر على سبيل المثال: صالح بن فوزان بن عبد الله آل فوزان، الملخص الفقهي، 2/73-74.
(4) الإسراء: 15.
(5) مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمدp إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، ص 76، ح: (386)
(6) ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، 1/659، كتاب الطلاق، الباب السادس عشر: باب طلاق المكره والناسي، ح: (2043) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه 1/347.
(7) النور: 61.


المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

لهذه المعايير أثار في التطبيق العملي للتنمية البيئية استثمارًا ومحافظة منها:

(1) تؤكد هذه المعايير على مسؤولية الإنسان نحو البيئة من حيث إنها واقعية يسهل تطبيقها وتفصلها عن المثالية المحضة كما أنها تعطي المسؤولية مرونة زمانية ومكانية للتطبيق، فهي تراعي أحوال الإنسان وظروفه ومن ثم تقطع المعاذير الواهية التي ربما يتمسك بها ملوثو البيئة من ادعاء المصالح والضرورية في تدمير البيئة.

(2) تشجع هذه المعاييرُ الإنسانَ على مراعاة مسؤوليته نحو البيئة من حيث انه إنسان مكرَّم فالتكريم مرتبط بالتكليف، والتكليف نعمة لأنه دال على التشريف وشكر النعمة يقتضي القيام بالمسؤولية، فنعمة العقل وسلامة الحواس والأمن المتوفر للتطبيق العملي للمحافظة على البيئة دوافع قوية وحوافز للإنسان ألا يفسد في الأرض وإلا عد في صف المجانين.

(3) مراعاة الضرورة وقدرها في الاضطرار الموضوعي للاستثمار المضر بالبيئة

المبحث الثالث المسؤولية الخلقية البيئية

إن المسؤوليات التي تحملها الإنسان في الأزل تنعكس إيجابا على البيئة ومنها:

أولًا: تحمل الإنسان لأمانة العبادة:

العبادة: "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الباطنة والظاهرة"[1].

فالعبادة ليست مقتصرة على الصلاة والزكاة والصيام والحج والذكر بل هي تتعدى ذلك لتشمل الأعمال الخيرة في حياة الإنسان كلها، أي التنمية الشاملة للبيئة ومكوناتها عبادة[2]، إذا ما صاحبتها نية التعبد، لقول الرسول ﷺ: «**لا أجر إلا عن حسبة ولا عمل إلا بنية**».

وقد تحمل الإنسان هذه الأمانة في الأزل، قال تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}[3].

قال السعدي في تفسيره: "**فجميع ما أوجبه الله على عبده أمانة**"، كما أن العبادات الكبرى في الإسلام لها أبعاد بيئية واضحة، ففي الصلاة: الطهارة والنظافة، وترشيد استهلاك المياه، وفي الزكاة الاستثمار الأمثل للبيئة، من حيث أداء حقوق الآدميين الضعفاء مما يقلل الجريمة ويضعفها والفساد في الأرض عمومًا، والصيام مدرسة للتحمل، والالتزام والتقوى مما يؤثر ايجابيًا على سلوك الإنسان في التعامل

(1) ابن تيمية. أحمد بن عبد الحليم، العبودية، ص 5

(2) عمر بن العربي أمنشار. المضامين التربوية المستنبطة من سورة النمل، (رسالة ماجستير).المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية – كلية الدعوة، 1426هـ- 1427هـ. ص 89.

(3) الأحزاب: 72.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

البيئي، كما أنه -أي الصيام-تعقبه زكاة الفطر، وفيها مراعاة حقوق الآخرين ومشاعرهم مما يبعدهم عن الجريمة كما تقدم في الزكاة.

وفي الحج الممارسة العملية ونموذج مصغر للحفاظ على البيئة؛ بل يمكن اعتبار الحج مدرسة للحفاظ على البيئة، فالدخول في النسك، وحرم مكة والمدينة، يمنعان الاحتطاب والصيد البري، أو قطع الشجر وقتل الحيوان إلا ما فيه ضرر. قال تعالى: {وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً} (1).

**ثانيًا: تحمل الإنسان لأمانة الإعمار البيئي:** الإعمار مصطلح شرعي يرادف التنمية الشاملة، وهو ينسحب على البيئة بكل مكوناتها الطبيعية والبشرية استثمارًا ومحافظة، وهو تكليف وتشريف أشار إليه قوله تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} (2). وقال سبحانه: {هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ} (3).

الفصل الرابع:

الجزاء الخلقي في التربية الأخلاقية الإسلامية وأثره في التنمية البيئية

الجزاء: هو الوحدة الأخيرة في ثالوث الإلزام والمسؤولية والجزاء، فعندما نُدعى لسلوك معين ونستجيب بِنَعَم فذلك إلزام والتزام، وبمجرد ما نستجيب أو نرفض نتحمل المسؤولية، وأخيرًا وعلى إثر هذه الاستجابة يقوِّم الداعي أو الملزِم أو القانون موقفنا حياله فيجازيه(4).

ونسبة الجزاء للخُلق ذو زاويتين: جزاء على خلق امتثالًا أو رفضًا، وجزاء بخلق يكتسبه الإنسان من التزاماته، والقيام بمسؤولياته.

وفي كلتا الزاويتين فإنه (الجزاء الخلقي) ذو أثر واضح في التنمية البيئية تبعًا لآثار الإلزام والمسئولية، فما هو الجزاء في التربية الأخلاقية الإسلامية وما أثره في التنمية البيئية؟ الإجابة عن هذه التساؤلات في المباحث التالية:

المبحث الأول: مفهوم الجزاء الخلقي.

**أولًا: المفهوم اللغوي.**

(1) المائدة: 96.
(2) الإسراء: 70.
(3) هود: 61.
(4) محمد عبد الله دراز. دستور الأخلاق في القرآن، مرجع سابق، ص 245.


المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

الجزاء في اللغة العربية مصدر، ومادته اللغوية (ج ز ي) وتدل هذه المادة على عدة معان منها: المكافأة على الشيء، يقال: جَزَيت فلاناً أجزِيه جزاءً، وجازيتُه مجازاةً.[1] ومنه ما جاء في القرآن الكريم: {وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءَ ٱلۡحُسۡنَىٰۖ}[2]، وقال سبحانه: {مَنۡ يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ}[3].

**ثانيًا: المفهوم الفقهي والقانوني.**

الجزاء في الفقه الإسلامي هو: "ما حدده الشارع من ثواب وعقاب، أو أناط تحديده إلى إمام مجتهد في مقابل عمل كلِف المسلم بفعله أو تركه"[4].

وفي القانون فالجزاء: "الأثر المادي الزاجر الذي تلحقه سلطات الدولة بالفرد، لمخالفته القاعدة القانونية"[5].

والقاعدة القانونية بمجملها ما تلزم به الدولة أفراد الرعية[6].

**ثالثًا: مفهوم الجزاء الخلقي في التربية الأخلاقية الإسلامية.**

يمكن تعريف الجزاء في التربية الأخلاقية الإسلامية بأنه: أثر مادي أو معنوي دنيوي أو أخروي يلحق الإنسان حيال التزامه بالسلوكيات الأخلاقية الملزمة من قبل الشارع سلبا أو إيجابا.

المبحث الثاني: أنماط الجزاء الخلقي في التربية الأخلاقية الإسلامية.

بما أن الجزاءات هي في الحقيقة على السلوك والأخلاق الإنساني صح نسبة الجزاء للأخلاق. وكما سبق فالجزاء الخلقي يحتمل معنى الجزاء على الخلق وبالخلق. والأنماط عمومًا هي:

**أولًا: الجزاء الخلقي.**

هناك جدل فكري في نسبة الجزاء للأخلاق[7]، وبالاعتبارات السابقة ليس هناك حرج في تلك النسبة، والجزاء الخلقي إجمالًا ذو مكونين يؤثر الأول في الثاني بالترتيب.

**الأمر الأول:** اللذة الضميرية والراحة النفسية من تطبيق سلوك ايجابي ما، أو تأنيب الضمير والقلق النفسي من ترك سلوك معين وارتكاب منهي عنه في الشرع.

(1) ابن فارس، أحمد. معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، 455/1.
(2) الكهف: 88.
(3) النساء: 123.
(4) أحمد بن عبد العزيز بن محمد الحليبي. المسؤولية الخلقية والجزاء عليها دراسة مقارنة، ص 365.
(5) أحمد سلامة، وحمدي عبد الرحمن. الوجيز المدخل لدراسة القانون، ص 26.
(6) سمير الجنزوري. الأسس العامة لقانون العقوبات، ص 103.
(7) ينظر: محمد عبد الله دراز. دستور الأخلاق في القرآن، مرجع سابق، ص 245وما بعدها.


المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

**الأمر الثاني:** يترتب على اللذة الضميرية والراحة النفسية الثبات على السلوك الخير، والاستقرار عليه والزيادة في ممارسة السلوكيات الحسنة. ويترتب على التأنيب الضميري والقلق النفسي محاولة التوبة من السلوكيات الخاطئة المضرة، ويفترض هنا في التوبة تدخل الجهد[1] قال تعالى: {**وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ ٱلْمُومِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**} [2]، وعدم التوبة يؤدي إلى سلوك خاطئ جديد، ومن صفات الخيرين كما قال تعالى: {**وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**} [3]، وحلل ذلك الإمام الغزالي بحس فقهي فقال: "فمهما وقع العبد في ذنب، فصار الذنب نقدا والتوبة نسيئة كان هذا من علامات الخذلان"[4].

وفي التربية الأخلاقية الإسلامية يقصد بالتوبة موقف للإرادة ينظر إلى الماضي والحاضر والمستقبل، ويتجلى في الأفعال لا في اتخاذ خط سلوك جديد فحسب، ولكن أيضًا في إعادة تجديد البناء الذي تهدم بصورة منهجية[5]، ولذا نجد في القرآن بالإضافة إلى التوبة الإصلاح، والتقوى والإحسان مثل قوله تعالى: {**فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ**} [6]. فهي مجموع الشروط التي جعلها ضرورية لكسب الغفران الموعود[7]، وتأتي التوبة بعمليتان ايجابيتان هما: إصلاح الماضي وتنظيم مستقبل أفضل[8].

**ثانيًا: الجزاء الإلهي.**

الجزاء الإلهي من حيث النوع، ثواب وعقاب، ومن حيث الزمن دنيوي وأخروي، وبحسب درجة المسؤولية قليل وكثير[9].

وبالجملة فالمحسن يجازى على إحسانه في الدنيا والآخرة، أو يؤجل للآخرة فقط باعتبار أنها خير وأبقى.

(1) المصدر نفسه. ص 250.
(2) النور: 31.
(3) آل عمران: 135.
(4) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. إحياء علوم الدين، 45/4.
(5) محمد عبد الله دراز. دستور الأخلاق في القرآن، مرجع سابق، ص 252.
(6) المائدة: 39.
(7) محمد عبد الله دراز. دستور الأخلاق في القرآن، مرجع سابق، ص 252.
(8) المصدر نفسه.
(9) مقداد يالجن. علم الأخلاق الإسلامية، مرجع سابق، ص 268.


المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

وأما العقوبات فهي على حسب الذنب المقترف، وهي بالجملة.

(1) الذنب في حق الله سبحانه، وفيه درجات:

(أ) الكفر والشرك، وهذا لا يغفر وصاحبه يعاقب بالنار خالدًا فيها.

(ب) الردة، الكفر بعد إسلام، وهذا يعاقب في الدنيا بالقتل.

(ج) الكبائر، فإن كانت من ذوات الحدود حد صاحبها في الدنيا، وإلا كان أمرها لله، إن شاء غفر وإن شاء عذب.

(2) الذنب في حق الآخرين.

وهذا بالجملة لا يغفر إلا بالتحلل من صاحب الحق، وهو درجات كذلك على:

(أ) إن كان من ذوات الحدود حد صاحبه في الدنيا، كالقتل، ما لم يعف صاحب الحق فلا يقتل.

(ب) وإن كان غير ذلك، فيقتص من صاحبه في الآخرة، ما لم يسمح المظلوم، كالغيبة.

**ثالثًا: الجزاء الاجتماعي.**

والجزاء الاجتماعي نوعان:

(1) المادي: وهو ما يقرره المجتمع من عقاب للمنحرف، ومكافأة للمستقيم الصالح[1]، ومرجعية الفساد والصلاح في الإسلام: الوحي (القرآن والسنة)، وفي المجتمعات الأخرى: المجتمع والقواعد الأخلاقية.

(2) الجزاء الأدبي: وهو يتلخص في رفع درجة الصالح، وانحطاط درجة المنحرف المفسد[2] في المجتمع المحلي، والعالمي في ظل العولمة وتقارب وتواصل المجتمعات.

**رابعًا: الجزاء الطبيعي.**

وهذا الجزاء راجع لقوانين الطبيعة نفسها، فمخالفة القوانين الطبيعية يجازى عليه غالبًا بالأثر الطبيعي[3]، فمثلًا مخالفة قوانين الاستثمار الأمثل للبيئة من قبل الأفراد والدول قوبل بجزاء من نفس الطبيعة تمثل في تلوث الهواء، والاحتباس الحراري، والفيضانات، واختلال التوازن البيئي في كثير من المناطق. وهو كذلك جزاء إلهي دنيوي.

المبحث الثالث: أثر أنماط الجزاء في التربية الأخلاقية الإسلامية في التنمية البيئية.

(1) المصدر نفسه، ص 285.

(2) المصدر نفسه، ص 286-287.

(3) المصدر نفسه، ص 284.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

هذه الأنماط تتداخل فيما بينها وليست هناك فروق دقيقة في تمايزها، ومن ثم فإن آثارها تبعًا لها كذلك متداخلة.

ومن باب الترتيب نذكر آثارها مقسمة عليها وهي كالتالي:

**أولًا: أثر الجزاء الخلقي في التربية الأخلاقية الإسلامية في التنمية البيئية.**

للجزاء الخلقي أثر في التنمية البيئية، يمكن تلخيصه في الفقرات التالية:

(1) يعطي للمستثمر المثالي للبيئة والمحافظ عليها الشحنة لدفع طاقته الخيرة نحو الثبات، والاستمرار، والدفاع عنها بكل الوسائل والقدرات المتاحة لديه.

(2) يعطي الفرصة لملوثي البيئة للتوبة من إذايتهم للبيئية، وبالتالي الإنسانية ومخلوقات الله في البيئة، والإقلاع عن إفسادها، والتحول إلى محافظ على البيئة مدافع على سلامتها.

**ثانيًا: أثر الجزاء الإلهي في التربية الأخلاقية الإسلامية في التنمية البيئية.**

يمكن تجلية أثر هذا المكون من خلال النقاط التالية:

(1) يُكَوِّن في الإنسان دافعا ذاتيا نابعًا من ضميره في الحفاظ على البيئة، ويستحضر الجزاء الأخروي للإفساد في الأرض، ويأخذ بعين الاعتبار حقوق الآخرين في البيئة التي يلوثها، والاقتصاص الأكيد منهم في الآخرة، ويستحضر قول النبي ﷺ «**مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ**»[1].

وهذا في الشخص الواحد فكيف بمن يدمر بيئة عدد من البشر ربما يعدون بالآلاف والملايين، أليس هذا من الدوافع المهمة للحفاظ على بيئة البشرية؟ كما أنه سبحانه وتعالى وعد المحافظين على البيئة بجزائهم الأكيد في الآخرة، إذا ما كانوا مؤمنين مسبقا فقال تعالى: {**تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي ٱلأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً**}[2] .

ومن عموم العلو والإفساد في الأرض: تلويث البيئة وتهديد حياة الملايين من البشرية.

(2) كما أن الجزاء الإلهي زاجر مؤثر لملوثي البيئة، فالعقوبة الإلهية غير معلومة الأجل من حيث بدايتها فقد تكون في الدنيا، أو في الآخرة أوهما معًا، مما يجعل من يفكر في تلويث البيئة، يتخوف من عقاب الله المفاجئ فيما لو أقدم على الإفساد في الأرض، وخصوصًا في المجال البيئي.

(1) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. كتاب المظالم، الباب العاشر: باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له هل يبين مظلمته ؟، ص 395. ح: (2449)

(2) القصص. 83.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

**ثالثًا: أثر الجزاء الطبيعي في التربية الأخلاقية الإسلامية في التنمية البيئية.**

الجزاء الطبيعي جزاء الهي في الأصل مكون من الطبيعة الملوثة ذاتها، ويدخل في الجزاء من جنس العمل، كما قال تعالى: {تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي ٱلأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً} [1]، وأثره في التنمية البيئية أنه جزاء عاجل، يمكن تلمسه حتى ممن لا يؤمنون بالدين أصلًا؛ لأن مخالفة قوانين الطبيعة يستلزم الإخلال بتوازن قوانينها، وهذا يوسع من قاعدة الكم البشري المحافظ على البيئة مسلمين وغير مسلمين، وهذا الجزاء هو الذي حرك البشرية جمعاء للعمل على تفادي تدمير البيئية ومحاولة إصلاح ما أفسده السلوك البشري سلفًا.

**رابعًا: أثر الجزاء الاجتماعي في التربية الأخلاقية الإسلامية في التنمية البيئية.**

يفترض أن تكون هناك قوانين صارمة وشاملة للمحافظة على البيئة؛ لأنه كما يقول عثمان بن عفان رضي الله عنه: **"إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن"**[2].

وفي الجانب النفسي للجزاء الاجتماعي، فإن فقدان ملوثي البيئية لشخصيتهم داخل المجتمع المحلي والعالمي؛ بل وعلى المستوى التاريخي يفترض أن يحملهم على ترك تلويث البيئة التي هي حق البشرية جمعاء، وفي الآونة الأخيرة يلاحظ كيف يستقبل زعماء بعض الدول المتهمة بتلويث البيئية بالمظاهرات والغضب، والاستنكار، كما حدث في قمة كوبنهاجن الأخيرة[3].

الفصل الخامس:

أهم أصول الأخلاق العملية في التربية الأخلاقية الإسلامية وأثرها في التنمية البيئية

تناولت الدراسة في الفصول السابقة النظرية الأخلاقية في التربية الأخلاقية الإسلامية وأثرها في التنمية البيئية، وفي هذا الجزء الأخير نتناول الجانب العملي الأخلاقي (الأخلاق العملية)، وبما أن الأخلاق العملية التفصيلية في التربية الأخلاقية الإسلامية كثيرة ستقتصر الدراسة على أهم الأصول الأخلاقية العملية، والتي يمكن اندراج أكثر من قيمة تحتها، فما هي أهم أصول الأخلاق العملية في التربية الأخلاقية الإسلامية؟ وما أثرها في التنمية البيئية؟ وفي المباحث التالية بيان ذلك:

**المبحث الأول: الإيمان، وأثره في التنمية البيئية.**

(1) النساء. 123.

(2) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله. التمهيد لما في الموطإ من المعاني والأسانيد، 118/1. وابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. البداية والنهاية، 11/2.

(3) موقع وزارة الإعلام بدولة الكويت، http://www.news.gov.kw/ الجمعة 2010/4/1م



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

## أولًا: مفهوم الإيمان.

الإيمان في اللغة العربية: التصديق[1]، وقيل: الإقرار[2].

وفي الاصطلاح الصحيح: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح[3].

وبناء على هذا التعريف للإيمان فإنه عملية تتفاعل وتتداخل فيها سلوكيات وجدانية وعقلية وعضوية تكون نتيجتها تكوين الإيمان بالله، قائمًا على أربعة عناصر استنادًا إلى نظرية الإمام ابن القيم -رحمه الله-وهي:

(1) تصديق الخبر.

(2) طاعة الأمر.

(3) دفع الشبهات.

(4) مجاهدة الشهوات[4].

وإذا قورن بين هذا المفهوم للإيمان وهذه العناصر التي يقوم عليها يلاحظ علاقة واضحة بينها وبين نظرية التربية الأخلاقية التي سبق الحديث عنها، ففيه (الإيمان) إلزام والتزام، ومسؤولية، كما أن استيعاب الإيمان بهذا المفهوم (قول اللسان واعتقاد القلب وعمل الجوراج) يؤثر في السلوك الإنساني العام. وخصوصًا في المجال البيئي؛ لأنه يجعل الإنسان في قلب المسئولية، ويجعل حفاظه على البيئة جزء من الإيمان، بخلاف لو فهم الإيمان على أنه قول اللسان فقط، أو اعتقاد القلب فقط[5]، فإنه لا يكون له ذلك الأثر في السلوك العملي؛ بل ربما دفع لاتجاه عكسي ضار بدعوى أن الإيمان في القلب، فلا داعي للعمل[6].

## ثانيًا: فروع الإيمان وأثرها في التنمية البيئية.

الإيمان أصل الأخلاق كلها فهو شامل للسلوك الخير مع الخالق، ومع الملائكة، والأنبياء والمرسلين، وعباد الله الصالحين والبشرية جمعاء وكل مكونات البيئة. ويؤيد هذا قول الرسول ﷺ :

(1) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب، 224/1.

(2) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. مجموع الفتاوى، 291/7،638.

(3) المؤلف نفسه. العقيدة الواسطية مع شرح الهراس، ص 161.

(4) حسن بن علي بن حسن الحجاجي. الفكر التربوي عند ابن القيم، ص 197.

(5) ينظر تلك الأقوال في: محمد علي التهاوني. كشاف اصطلاحات الفنون، 137/1.

(6) للاستزادة في أثر المفاهيم الخاطئة للإيمان في السلوك الإنساني ينظر: عمر بن العربي أمنشار. المضامين التربوية المستنبطة من سورة النمل، مرجع سابق، ص 34-36.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

«الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[1].

ولهذه الفروع والشعب الإيمانية أثر في التنمية البيئية يمكن تلخيصها في الآتي:

(1) يجعل المحافظة على البيئة وتنميتها بالنافع جزءا من الإيمان، وتقدم في الحديث «إماطة الأذى عن الطريق» من الإيمان، وبهذا فهو دافع قوي للمحافظة على البيئة.

(2) يربط الإيمان بين المحافظة على البيئة والجزاء الأخروي، مثل عموم قوله سبحانه: {مَنْ عَمِلَ صَٰلِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ انثىٰ وَهُوَ مُومِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}[2]، فالإيمان يشمل كل الشُعب، ومنها المحافظة على البيئة، وهذا يجعل المحافظة على البيئة مستمرة ومتجددة ما دام الإنسان متعلقا بالجزاء الأخروي.

(3) كما أن الإيمان يُكَوِّن قوة جماعية في المحافظة على البيئة، وذلك من خلال كثرة المؤمنين بالله والقيم والشُعب الإيمانية، فتعم المحافظة رقعة جغرافية أوسع.

المبحث الثاني: العدل وأثره في التنمية البيئية.

**أولًا: مفهوم العدل.**

العدل في اللغة العربية مأخوذ من مادة (ع د ل) وتدل على أصلين صحيحين متقابلين كالمتضادين كما يقول ابن فارس: أحدُهما يدلُّ على استواء، والآخر يدلُّ على اعوجاج فالأول: العَدْل من النَّاس: المرضيّ المستوِي الطّريقة... فأمّا الأصل الآخَر فيقال في الاعوجاج: عَدَل. وانعدَلَ، أي انعَرَج[3]، ثم ذكر شواهد لكلا الأصلين من الشعر العربي.

وفي الاصطلاح العام فهو: المساواة بين التصرف وبين ما يقتضيه الحق دون زيادة ولا نقصان[4].

وقيل: إعطاء كل ذي حق حقه من غير إفراط أو تفريط[5].

(1) مسلم بن الحجاج النيسابوري. صحيح مسلم. كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء، وكونه من الإيمان، ص38-39. ح: (153)

(2) النحل: 97.

(3) ابن فارس، أحمد. معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، 246/4.

(4) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني. الأخلاق الإسلامية وأسسها، 569/1.

(5) المصدر نفسه.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

وخلاصة هذه التعاريف: أن العدل هو إعطاء الحقوق لأصحابها، سواء أكانت هذه الحقوق نفسية، كالتقدير وتحقيق الكرامة الإنسانية، أو فكرية، أو مادية، فكل ما هو حق للإنسان قرره الشرع أو المنطق أو العقل، فيجب أن يحصل عليه كاملًا.

**ثانيًا: أهمية العدل، ومشمولاته، وأثره في التنمية البيئية.**

(1) أهمية العدل في حياة البشرية.

العدل من صفات الله سبحانه، وفيه تربية البشر على تحقيق العدل بينهم، وهو مما أمر الله به في عدة آيات كقوله سبحانه: {إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ}[1]، وعلى العدل قامت السماوات والأرض، وبه بعثت الرسل كلهم، كما قال تعالى: {لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ}[2]، وهو شامل للحياة البشرية كلها، يشمل العدل في حق الله بالتوحيد، وفي حق النفس بالرعاية والصيانة وفي الأسرة، والمدرسة والمؤسسات العامة، وفي كل الظروف في السلم والحرب، مع الحيوان والجماد. ليست هناك أية وضعية زمنية أو مكانية سُمح فيها بالظلم وترك العدل في التربية الأخلاقية الإسلامية، حتى مع المخالفين، قال تعالى: {وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ}[3]، فهو بالمنظور التربوي الإسلامي قيمة تدور مع الإنسان بغض النظر عن أفكاره ومعتقداته وقناعاته؛ لأن استقامة حياة البشر متوقفة عليه، كما سبق في الآية: {لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ}[4]، ولم يحدد نوع الناس.

(2) مشمولات العدل.

يشمل العدل عدة فروع، منها الأمانة، والصبر، والصدق، والعفة، والتواضع وغيرها، ويمكن اعتبار كل سلوك يساهم في تحقيق حقوق الناس من فروع العدالة.

(3) أثر العدل في التنمية البيئية.

العدل بأهميته ومشمولاته له أثر واضح في التنمية البيئية يمكن توضيحه في الآتي:

(أ) يضبط العدل السلوك الإنساني تجاه البيئة بغض النظر عن الظروف المحيطة والزمان والمكان،

(1) النحل: 90.

(2) الحديد: 25.

(3) المائدة: 8.

(4) الحديد: 25.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

وبذلك تتحقق الشمولية في المحافظة على البيئية والاستثمار الأمثل لها، فمثلًا تنقلب الموازين والقيم لدى البشرية عند غياب العدل بالمفهوم الإسلامي في زمن الحروب والأزمات، فتستخدم الأسلحة المدمرة للإنسان والبيئة، وتدمر البنى التحتية لما بناه الآخرون، ويهلك الحرث والنسل كما هو مشاهد، وهذه السلوكيات المدمرة للبيئة محرمة في التربية الأخلاقية الإسلامية؛ لأنها غير عادلة، فمن المبادئ الإسلامية {وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ} [1] ؛ لأنه ليس من العدل ومن وصايا أبي بكر الصديق رضي الله عنه للجيوش الإسلامية في حروبها: «**وَلَا تَقْتُلُوا كَبِيرًا هَرِمًا، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا وَلِيدًا، وَلَا تُخْرِبُوا عُمْرَانًا، وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرَةً إِلَّا لِنَفْعٍ، وَلَا تَعْقِرُنَّ بَهِيمَةً إِلَّا لِنَفْعٍ، وَلَا تَحْرِقُنَّ نَخْلًا، وَلَا تُغَرِّقُنَّهُ، وَلَا تَغْدِرْ، وَلَا تُمَثِّلْ، وَلَا تَجْبُنْ، وَلَا تَغْلُلْ**».

(ب) كما أن شمولية مجالات العدل في التربية الأخلاقية الإسلامية وخصوصًا في المجال الإنساني والبيئي، يرسخ في الذهن التعامل مع مخلوقات الله وفق هذا المفهوم الشامل؛ لأن صيانة البيئة والعدل فيها وفي مكوناتها هو عدل مع الإنسان نفسه؛ لأن العوائد الايجابية والسلبية للبيئة نتيجة التعامل الايجابي أو السلبي تمس الإنسان في حياته الاجتماعية والصحية والاقتصادية.

المبحث الثالث: الرحمة وأثرها في التنمية البيئية.

**أولًا: تعريف الرحمة.**

الرحمة في اللسان العربي من مادة (ر ح م) وهي كما يقول ابن فارس: أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الرِّقّة والعطف والرأفة. يقال من ذلك رَحِمَه يَرْحَمُه، إذا رَقَّ له وتعطَّفَ عليه. والرُّحْم والمَرْحَمَة والرَّحْمة بمعنىً [2].

وفي الاصطلاح فقد عرفها الجرجاني بقوله: "إرادة إيصال الخير" [3].

وهذا التعريف التربوي للجرجاني لا يقف في تصور الرحمة عند حد الشعور بالألم للآخرين؛ بل لا بد من عمل ملموس يترجم العاطفة الرقيقة إلى عمل نافع ايجابي.

**ثانيًا: أهمية الرحمة.**

الرحمة صفة لله، وبرحمته المطلقة يرحم العباد، ويعفو ويصفح سبحانه وتعالى، قال تعالى: {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ} [4].

(1) الأنعام: 164.

(2) ابن فارس، أحمد. معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، 498/2.

(3) الجرجاني، علي بن محمد. التعريفات، ص 110.

(4) الأنعام: 54.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

وهي من صفات صفوة الخلق، من الأنبياء والمرسلين، فمن صفات نبينا محمد ﷺ أنه: {بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ}[1].

وهو للبشرية رحمة، وبعثته رحمة، قال تعالى: {وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ}[2].

وبالرحمة تتفاعل العناصر البيئية فيما بينها بايجابية، سواء أكانت تلك العناصر بشرية أو غيرها، يقول ﷺ: «جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا، خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ»[3].

والرحمة هي التي تُضفي على الحياة الجمال والتجديد والحيوية، ولذا فهي ضرورية للتعامل الإنساني إلى جانب العدل والإيمان، وهو خلق يمكن اكتسابه وتربية النفس عليه، والممارسة على تطبيقه في جوانب الحياة المختلفة، وهي من علامة سعادة صاحبها ونجاحه في حياته العامة والخاصة، فالرسول ﷺ يقول: «**لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ**»[4]، و «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»[5].

والرحمة من خلال هذا الحديث سلوك يؤثر في المكونات البيئية كلها، وخصوصًا البشرية والحيوانية.

**ثالثًا: مشمولات الرحمة، وأثرها في التنمية البيئية.**

كل خلق عاطفي ايجابي فعال مؤثر ايجابيًا فهو من قيم الرحمة وفروعها ومظاهرها، مثل: العفو، والحلم، والرفق، والتعاون، وإرادة الخير للجميع، على المستوى الوطني المحلي، والعالمي الدولي، فقدوة المؤمنين ﷺ بعث رحمة للعالمين كما تقدم في الآية.

ويمكن إبراز أثر الرحمة من منظور التربية الأخلاقية الإسلامية ومشمولاتها في التنمية البيئية من خلال الآتي:

(1) الرحمة في التربية الأخلاقية الإسلامية سلوك شامل يتناول البيئة بكل مكوناتها (الإنسان،

(1) التوبة: 128.

(2) الأنبياء: 107.

(3) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. كتاب الأدب، باب جعل الله الرحمة في مائة جزء، ص 1050. ح: (6000)

(4) أبو داوود، سليمان بن الأشعث. سنن أبي داوود، مرجع سابق، ص 741. كتاب الأدب، الباب السادس والستون: باب في الرحمة، ح: (4942) وقال الألباني: (حسن).

(5) المصدر نفسه. ص 741. وقال الألباني: (صحيح).



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

الحيوان، البيئة الطبيعية بمستوياتها الأربع: الغلاف الجوي، والمائي، والصخري، والحيوي)، وبهذه الشمولية فإن حفاظ الإنسان على البيئة له أثر ايجابي رجعي على البشرية أجمع ومنها نفسه، لأن الإنسان مكون من البيئة نفسها من ترابها، قال تعالى:{مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً اخْرَىٰ} [1]، والتراب عناصر متعددة ويتأثر بمكونات البيئة المختلفة، وتلك المكونات تؤثر بالتالي نقية أو ملوثة في الإنسان، فجسم الإنسان يحتوي حوالي 70٪ من الماء أي ما يعادل ثلثي جسم الإنسان[2]، كما أنه يتكون من نفس المعادن الموجودة في الأرض، مثل: الكربون، والأكسجين، والهيدروجين، والفسفور, والكبريت، والأزوت، والكالسيوم والبوتاسيوم، والصوديوم، والكلور, والمغنيزيوم، والحديد, والمنغنيز, والنحاس, واليود والفلورين، والكوبالت, والزنك, والسيليكون، والألمنيوم, وكل هذه العنـاصر هي العناصر نفسها المكونة للتراب[3].

وهذه العناصر لها علاقة تأثريه بالغذاء الإنساني المرتبط بالأرض (الفواكه، والخضروات واللحوم) والسماء (الأمطار)[4].

فإذا تلوثت هذه العناصر سيتغذى الإنسان بها وهي ملوثة فتتدهور صحة الإنسان ويصاب بالأمراض المختلفة. فمن رحمته بنفسه، وبالبشرية جمعاء، رحمة البيئة بعدم تلويثها.

(2) البيئة بكل مكوناتها وعناصرها مسخرة للإنسان، والتسخير البيئي من مظاهر رحمة الله بعباده، ومن ثم فهو دافع للرحمة بالبيئة، فهي مسخرة من قبل الله، والإنسان ضيف فيها ومستخلف بها فيتعين عليه انتهاج سلوك الرحمة في استثمارها، ويحسن إليها وفيها كما أُحسن إليه بها من عند ربه، قال تعالى: {وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ} [5]، فهو ليس قادرا عليها وعلى تطويعها أو تحديها، فهي كلّة من مخلوقات الله، والله وحده القادر عليها، والإنسان مسخر فيها يأخذ منها قدر حاجته من غير إسراف ولا إجرام ولا تلويث، وإلى هذا يشير قوله تعالى: {إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ

(1) طه.55.

(2) النسخة الالكترونية من جريدة الرياض، الاثنين 22ربيع الثاني 1426هـ 30 مايو 2005 ع 13489.

(3) موقع زغلول النجار http://www.elnaggarzr.com الجمعة 2010/4/1م.

(4) للتوسع ينظر موقع: آفاق علمية، http://amjad68.jeeran.com الجمعة، 2010/4/1م.

(5) القصص. 77.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

بِالآمْسِ﴾[1].

فهذا تهديد مبطن للمفسدين في البيئة، وتربية على التعامل مع البيئة بكل رحمة ورفق ولين. يقول ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ**»[2]، وأيضًا: «لَمْ يَدْخُلْ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَمْ يُنْزَعْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»[3].

وبالرحمة البيئية يختم الباحث هذه الدراسة، وكله أمل في أن تتدارك البشرية سلوكها مع البيئة؛ ليتوافق مع التربية الأخلاقية الإسلامية، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الخاتمة

ختم الله لنا وجميع المسلمين بالسعادة، وجعلنا وإياهم من أهل الحسنى والزيادة.

**أولًا: ملخص نتائج الدراسة.**

توصل الباحث في هذه الدراسة لعدة نتائج يمكن تلخيصها واختصارها في الآتي:

(1) عُنيت التربية الأخلاقية الإسلامية بالسلوك البيئي، واستهدفت في تربية الإنسان تكوين جانب سلوكي بيئي في قيمه الأخلاقية.

(2) يمكن الاستفادة من النظرية الأخلاقية الإسلامية في التكوين التربوي البيئي.

(3) للنظرية الأخلاقية الإسلامية بمستوياتها الثلاث (الإلزام، والمسئولية، والجزاء،) آثار في التنمية البيئية، تتلخص في تكليف الإنسان بالاستثمار الأمثل للبيئة، والمحافظة عليها، وتحمل الإنسان لمسؤولية هذا التكليف، وانتظاره الجزاء عليه عاجلًا أم آجلًا.

(4) تربط التربية الأخلاقية الإسلامية بين المحافظة على البيئة وسعادة البشرية جمعاء في الدنيا والآخرة.

(5) للتربية الأخلاقية الإسلامية البيئية بُعد أخروي أعمق من الأبعاد المادية العاجلة، مما يدفع نحو الحفاظ على البيئة بسلوك ذاتي ضميري أكثر عمقا وشمولية.

(6) لأصول الأخلاق العملية في التربية الأخلاقية الإسلامية أثر مباشر في التنمية البيئية، وخصوصًا: الإيمان؛ لأنه مفهوم شامل للحياة.والعدل، من حيث أنه يقتضي المحافظة على البيئة، والرحمة من حيث تزين

(1) يونس. 24.

(2) البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، ص 1053. ح: (6024)

(3) ابن حنبل، أحمد. المسند، مرجع سابق، 167/21. ح: (13531). وجاء في هامشه: (حديث صحيح وهذا إسناد ضعيف).



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

السلوك الإنساني العادل، وتجعله أكثر إنسانية وأعمق في إرادة الخير وتعميمه.

**ثانيًا: توصيات الدراسة.**

من خلال نتائج الدراسة التي لخصها الباحث في ست فقرات، يمكن التوصية بالآتي:

**(1) على مستوى الأسرة.**

- إدماج الجانب البيئي في برامج تربية الأبناء، وتعهد هذا الجانب باستمرار.
- اعتماد منهجية الربط بين التربية والخلق البيئي النظري والتطبيقي.
- العناية بالتوعية البيئية، وتوظيف التربية الخلقية في ذلك.
- الاستعانة بالوسائل المعينة في ترسيخ التربية الأخلاقية البيئية في الأبناء، واستثمار أقرب وأحب الوسائل لدى الطفل، فمثلًا تؤخذ تفاحة، ويبين للطفل بلغة ميسرة، من أين تكونت التفاحة، وما العناصر الغذائية الموجودة فيها، وما أثر التراب والماء والهواء وأشعة الشمس فيها، وقيمتها الغذائية. ثم يبين له أن تلويث البيئة يفقد التفاحة قيمتها الغذائية، بل ربما حولها لغذاء مسموم.

كذلك الحليب والبن. يبين للطفل كيف سخر الله في البقرة هذا الشراب الحيوي المهم للإنسان، ثم كيف أن البقرة تحتاج وبإذن الله لتكوين الحليب إلى غذاء متكامل متوازن نقي، وأن مصدر غذائها كله من البيئة، وأن هذه البيئة لو لوثها الإنسان تغذت البقرة على عشب ملوث، وشربت الماء الملوث، وبالتالي يتلوث الحليب ويتحول من مشروب حيوي لمشروب مضر بالصحة.فمثل هذه الأساليب ترسخ في الطفل حب البيئة ومكوناتها، والممارسة العملية في الحفاظ على نظافتها ونقائها.

**(2) على مستوى المدرسة.**

- تقرير مادة مستقلة في كل المراحل الدراسية، مشتملة على البرامج التربوية اللازمة، (الكتاب المدرسي، الوسائل التعليمية، المنهاج، الاختبارات) باسم: (التربية الأخلاقية البيئية).
- دمج الأخلاق البيئية النظرية والعملية في مختلف المقررات الدراسية، وخصوصًا مواد: التربية الإسلامية، واللغات، والعلوم، وكل المواد القابلة لتحمل المضامين التربوية الأخلاقية البيئية.
- إنشاء نشيد بيئي تفتح به الدراسة في المدارس الابتدائية يتضمن التربية الأخلاقية البيئية.
- توظيف النشاط المدرسي في التربية الأخلاقية البيئية.
- العناية بإنشاء مدارس بيئية، أي بين مكونات بيئية متعددة، كالأشجار، والماء، وبعض الحيوانات البرية والبحرية، والعمل على تزويد المدارس بذلك. وتوظيفه في غرس التربية الأخلاقية البيئية.
- العناية (وفي إطار النشاط المدرسي) بمسابقات بيئية تعنى بالإبداع البيئي، وربط ذلك بالأخلاق الإسلامية.


المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

**(3) مستوى المسجد.**

- توظيف حلقات تحفيظ القرآن الكريم في غرس القيم الأخلاقية الإسلامية البيئية في المتعلمين وفق منهجية تربوية علمية يشرف عليها التربويون المتخصصون.
- توظيف خطبة الجمعة في غرس القيم الأخلاقية البيئية ونشر ثقافة الوعي البيئي من منظور التربية الأخلاقية الإسلامية.
- عناية إمام المسجد باختيار الآيات المعنية بالبيئة؛ ليترسخ في المصلين الوعي البيئي، والخلق البيئي القرآني.

**(4) على مستوى المجتمع.**

- توظيف الإعلام بكل مستوياته في تكوين ثقافة الخلق البيئي من منظور التربية الأخلاقية الإسلامية.
- التعاون بين مؤسسات المجتمع المدني في نشر وترسيخ الثقافة البيئية من منظور التربية الأخلاقية الإسلامية، كل على حسب اختصاصاته وطاقاته.
- إنشاء قناة بيئة، باسم البيئية، تعنى بشؤون البيئة، وتوظيفها لترسيخ القيم البيئية من منظور التربية الأخلاقية الإسلامية.

(5) على المستوى الدولي والحضاري.

- استصدار إعلان عالمي يعنى بحقوق البيئية، على غرار الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ويمكن للدول الإسلامية السعي لاستصداره وفق رؤيتهم الإسلامية.
- إنشاء جهاز أمني بيئي باسم (الشرطة البيئية الأخلاقية) مهمتها مراقبة المخالفات البيئية في الوسط الحضري والمدار القروي.

**ثالثًا: دراسات مقترحة.**

في ظل ملخص نتائج الدراسة وتوصياتها يقترح الباحث دراسات مكملة لجوانب الدراسة الحالية، ومنها:

- دراسات تقويمية لأبعاد التربية البيئية في المقررات الدراسية بالدول العربية والإسلامية، ومدى انسجامها مع التربية الأخلاقية الإسلامية.
- دراسات عن أثرِ أخلاق ايجابية معينة في التنمية البيئية.
- دراسة عن خصائص التربية الأخلاقية الإسلامية وأثرها في التنمية البيئية.
- دراسة عن العلاقة بين السلوك الإنساني وأثره في البيئة من خلال القرآن الكريم.


المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

- دراسة مقارنة بين النظرية الأخلاقية الإسلامية والنظرية الأخلاقية الغربية وأثرهما في البيئة.
- دراسة عن الخلق البيئي في صحيح الإمام البخاري.
- دراسة عن أثر فكرة صراع الحضارات في التلوث البيئي.
- دراسة عن العلاقة بين العولمة والمشكلات البيئية.


المنارة للاستشارات
www.manaraa.com